الفصل الأول

حيـــاتـــــه

ويشمـــل :

١ - اسمه ونسبه وأسرته ٠

٢ - مولده ٠

٣ - ثقافته ٠

٤ - شخصيته ٠

٥ - حياته العملية ٠

٦ - وفاته ٠

٧ - مؤلفاته ٠

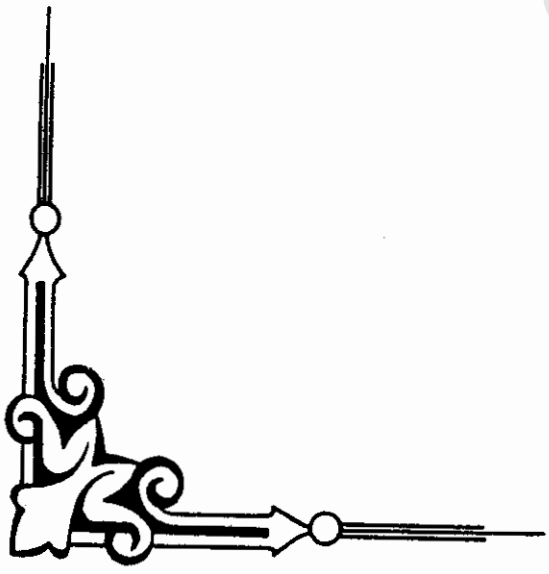

obeikandl.com

obeikandl.com

اسمه ونسبه وأسرته :

هو شفيق بن درويش بن محمد جبري[١] ، وهذا أقصى ما استطعت الوصول إليه في سلسلة نسبه .

وبنو جبري من الأسر القديمة في دمشق[٢]، وقد ذكر لي شقيق الشاعر « رؤوف جبري » أنهم من دوما[٣] .

وكان جد هذه الأسرة (يوسف آغا جبري) « آغةَ اليرلية بدمشق »[٤] ، أو بمعنى آخر « كان رئيسا للانكشارية »[٥] ، وقد فر مع من فر لما داهم محمد أبو الذهب[٦] دمشق عام ١١٨٥هـ[٧]، ولما خرج أبوالذهب قافلا إلى مصر رجع والي دمشق ، ورجع يوسف آغا جبري أوغلي من جبل الدروز ، ومعه نحو خمسة آلاف درزي[٨]، « وبعد مدة ضرب عثمان باشا والي دمشق عنق ابن جبري ؛ لأنه كان السبب في تقوية الدولة المصرية على العساكر الشامية ، طمعا في قتل عثمان باشا وصيرورته مكانه كافلا بدمشق »[٩].

وذكر الحصني[١٠] أن الوالي خنقه في قلعة دمشق ، وضبط ماله لطرف الدولة[١١] ، وأشار إلى أن سبب ماتعرض له ، كان بتدبير من أحد خصومه ، وهو

---

(١) الحركة الأدبية في دمشق ص ٢٢٠ ، د . اسكندر لوقا ، دمشق ١٩٧٦م .
(٢) منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ .
(٣) دوما : من قرى غوطة دمشق ، معجم البلدان ٤٨٦/٢ .
(٤) منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ ، واليرلية هم العساكر المحلية التي هي من البلد نفسه .
(٥) انظر : خطط الشام ٢٩٢/٢ ، والانكشارية : فرقة عسكرية عثمانية توكل إليها المهام الصعبة . (معجم الكلمات الأعجمية والغريبة في التاريخ الإسلامي ١٥ ، عاتق البلادي ، دار مكة ، ط الأولى ١٤١١هـ) .
(٦) محمد أبو الذهب كبير أمراء علي بك ، والي مصر وزعيم المماليك في عصره ، توجه بجيش احتل به دمشق ، ثم تركها ، فغضب عليه علي بك وطرده فانقلب عدوا له . (حلول التعب والآلام ص ٥) .
(٧) انظر : حلول التعب والآلام بوصول أبي الذهب إلى دمشق الشام ص ٢٠ ، تأليف سليمان بن أحمد المحاسني ، تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٠ هـ .
(٨) انظر : المرجع السابق ص ٢٤ .
(٩) خطط الشام ٢٩٢/٢ .
(١٠) محمد أديب الحصني (١٢٩٢ - ١٣٥٨هـ) فاضل من أهل دمشق ، ولي نقابة أشرافها مدة ، وعني بتاريخها ، فجمع كتابا سماه منتخبات التواريخ لدمشق . (الأعلام ٢٨/٦) .
(١١) انظر : منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ .

سليمان المحاسني[١] ، الذي اتهمه بخيانة الدولة ، والارتشاء من رئيس العسكر المصري الذي دخل دمشق ، ثم ألف فيه رسالة سماها [البغي والتجري في ظهور ابن جبري] ذكر فيها ترجمته وأحواله وأعماله [٢].

ومن أجداد هذه الأسرة أيضا (عثمان جبري) الذي كان معاصرا ليوسف المتقدم ذكره ، وقد أرّخ العلامة محمود الحمزاوي[٣] مفتي دمشق وفاته بقوله في أبيات طويلة :

تاريخ زاه باسم * عثمان جبري في النعيم[٤]

وعليه يصبح تاريخ وفاته عام ١١٦٧هـ ، ولعل في تأريخ العلامة الحمزاوي لوفاته مايدل على أن له مكانة ، إذ لايؤرخ في العادة لوفاة الخاملين .

ومن مشاهير هذه الأسرة سليم بن عثمان جبري الحنفي ، الذي كان من المشتغلين بالعلم ، وأجازه العلماء حتى تصدر للتدريس في الجامع الأموي ، ثم تولى نيابة التزكية في المحكمة الشرعية ، ثم رحل لدار السلطنة وتقلد القضاء الشرعي في أقضية دمشق وبيروت [٥]. كان فقيها فاضلا محبوبا عند العلماء والأمراء ؛ لأنسه ولطف حديثه ، وكانت وفاته عام ١٣٣٨هـ [٦].

وأكثر رجال هذه الأسرة كانوا يشتغلون في التجارة بين دمشق والحجاز ، ومنهم محي الدين بن عثمان جبري - أخ لسليم المتقدم ذكره - أقام في بيروت أكثر حياته[٧] ، ومنهم أيضا سامي بن سعيد صاحب الدار التي فيها قاعة نفيسة تعد من

---

(١) سليمان المحاسني (١١٣٩- ١١٨٧هـ) شاعر دمشقي المولد والوفاة ، تولى النيابة في المحاكم والإمامة والخطابة في الجامع الأموي ، وله ديوان شعر . (الأعلام ١٢١/٣) .

(٢) انظر : منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ .

(٣) محمود الحمزاوي : (١٢٣٦- ١٣٠٥هـ) أحد العلماء المكثرين من التصانيف ، تولى فتوى الشام ، واشتهر شهرة عظيمة ، وكان فقيها أديبا شاعرا ، ومن كتبه (در الأسرار) و (الفتاوى) . (الأعلام ١٨٥/٧) .

(٤) انظر : منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٥/٢ .

(٥) انظر : تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٣٦٥/١ ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٦) منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ .

(٧) انظر : المرجع السابق ٨٩٥/٢ .

آثار دمشق الشهيرة [١].

ومن رجال هذه الأسرة حَسن آغا جبري الذي « ولي رئاسة الكتاب في محكمة الميدان في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري »[٢] وآل جبري الموجودون الآن مختلفون حول وجود صلة له بهم [٣].

أما أصل الأسرة ، فأغلب الظنّ أنها من أصل درزي ، ومما يؤكد هذا الظن أن يوسف آغا جبري لما فرّ من الجيوش المصرية لجأ إلى جبل الدروز ، ثم رجع ومعه خمسة آلاف درزي [٤]، فلعل احتماءه بجبلهم ، ونصرتهم له جاءا من قبل الحمية والعصبية .

أما والده فهو درويش آغا بن محمد جبري[٥]، من كبار تجار الأغنام بدمشق[٥] ، وكان يتاجر بها إضافة إلى القنابيز[٦] والعباءات وملابس أهل القرى وأسلحتهم [٧]. وكان يصل بتجارته أحيانا إلى الجزيرة العربية ، كما كان يلبس اللباس العربي[٨] ، وكانت وفاته سنة ١٩٢٦م في يافا [٩].

وأما والدته فتنتسب إلى " آل الطباع " ، وأصلهم من بغداد ، ينتمون إلى الإمام المحدث محمد بن عيسى الطباع النجيح البغدادي[١٠]، ومن مشاهير أسرتها صبحي الطباع أحد رجال المال في دولة دمشق ، ومن مشاهيرهم أبو الخير الطباع

---

(١) انظر : منتخبات التواريخ لدمشق ٢/٨٩٥ .

(٢) مجتمع مدينة دمشق ٢/٤٤٠ .

(٣) من رسالة وصلتني من الأستاذ رؤوف جبري - شقيق الشاعر - مؤرخة بيوم ١١ تموز ١٩٩٢م جوابا عن رسالة بعثتها إليه بتاريخ ١٩٩٢/٧/٢م .

(٤) انظر : حلول التعب والآلام ٢٤ ، وأعلام الأدب والفن ٢/١٤٣ ، أدهم آل جندي ، دمشق ١٩٥٨م .

(٥) انظر : العدد الخاص من مجلة الثقافة السورية ، عن (شفيق جبري) ، مقالة « شفيق جبري شاعر الشام » بقلم خالد قوطرش ص ٨٥ ، كانون الثاني شباط ١٩٨٩م .

(٦) جمع قنباز ، وهو ثوب واسع يشبه ثياب أهل الجزيرة اليوم .

(٧) انظر : العدد الخاص من مجلة العرفان ، بعنوان (عشرة من الناس) ، مبحث صرّاف الرجال ص ٨٤ ، بقلم زهير ماردينى ، حزيران وتموز ١٩٧٩م ، العددان ٦-٧ ، المجلد ٦٧ .

(٨) مشافهة من ولده رؤوف في لقاء جرى لي معه ضحى يوم الأحد الواقع في ١٤١٢/١٢/٦هـ الموافق ١٩٩٢/٦/٧م بمنزله في بلودان .

(٩) صناع الأدب ١٤٨ ، د . عمر الدقاق ، نشر اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٨٤م .

(١٠) محمد بن عيسى الطباع ، حافظ كبير ثقة ، روى عنه كثير من العلماء ، وكان من مشايخ الإسلام ، يحفظ نحوا من أربعين ألف حديث ، مات سنة ٢٢٤هـ بالثغور . (سير أعلام النبلاء ١٠/٣٨٦) .

الذي كان أحد ناشري العلم بدمشق [١].

« وكانت أمه تُكنى " أم شفيق " ، حسنة السمت ، طيبة القلب ، لطيفة ، ظاهرة البشاشة والأنس ، وكانت معروفة بذكائها وطلاوة حديثها ، وشخصيتها المحببة » [٢]، وكانت تعتز بولدها وتحبه وتفخر بكونه شاعرا [٣]، وكان هو يقابلها بحب أكثر ، وظل حتى أواخر حياته تدمع عيناه إن تذكرها ، ويشعر أن طيفها يلازمه ، فهو يدعو لها ولأبيه كلما أوى إلى فراشه [٤].

وكانت وفاتها ليلة الثلاثاء ١٠ أيلول ١٩٥٧م ، فرثاها شفيق بأربعة أبيات لتوضع على قبرها[٥].

وقد أنجب والده سبعة ذكور ، توفي منهم ثلاثة ، أما الباقون فأكبرهم شفيق ، ثم نسيب ، فممدوح ، ثم رؤوف [٦].

أما نسيب وممدوح فتزوجا ثم طلّقا وكان ممدوح مدرساً للغة الفرنسيّة [٦]، وأما شفيق فلم يتزوج [٧]- وسيأتي تفصيل أسباب ذلك عند الحديث عن شخصيته - وأما أصغرهم رؤوف ، فلم يتزوج أيضا [٦]، وهو محب للعزلة ويسكن الآن في منزل أخيه - من قبل - في بلودان ، وهو أديب ناثر يشارك ببعض المقالات في بعض مجلات دمشق ، وبخاصة مجلة الثقافة .

تبقى الإشارة إلى لقبي آغا وبك اللذين يلحقان اسمه وبعض أسماء رجال أسرته ، ومنهم والده ، فكلمة آغا عند الأتراك تعني « أمير جيش أكبر من بك ، وأصغر من باشا »[٨] ، وكلمة بك « تعني أميراً في اللغة التركية ، ثم أطلقت على كبار الموظفين »[٩] .

---

(١) انظر: منتخبات التواريخ لدمشق ٨٧١/٢ .
(٢) انظر : كلمة د . بديع حقي في أربعين جبري ص ٢٤٤ ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١٠٧ - ١٠٨ ، آذار نيسان ١٩٨٠م .
(٣) انظر : المرجع السابق ٢٤٤ .
(٤) انظر : كلمة بديع حقي في أربعين جبري ٢٤٥ .
(٥) أنا والشعر ٤٩ ، شفيق جبري ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٦هـ .
(٦) مشافهة من (رؤوف جبري) .
(٧) انظر : صناع الأدب ١٣٩ .
(٨) معجم الكلمات الأعجمية والغريبة في التاريخ الإسلامي ص ١٢ .
(٩) المرجع السابق ٢٣ .

إذاً فيوسف آغا جبري أحد أجداد الأسرة ، أطلق عليه هذا اللقب لكونه أمير جيش كما سبق[١] ، وهذا واضح ، ولكن هل كان والد شفيق أمير جيش حتى استحق لقب آغا ؟

إن السبب في إطلاق هذا اللقب على والده ، أنه كان من أبناء الأغوات ، فقد كان من المتعارف عليه أن يطلق هذا اللقب عليهم [٢]، كما استفاض لعهد الترك إطلاقه على التاجر والوجيه المعروف بتدينه وصدق معاملته [٣].

أما لقب بك الذي يلحق اسم الشاعر شفيق ، وبعض أفراد أسرته ، فقد جاءهم من قبل كونهم موظفين في الحكومة ، ومع ذلك ، فإنه تخلى عنه في وقت مبكر من حياته ؛ زهدا فيه ورغبة عنه [٤].

مولـــــده :

أدرك شفيق جبري بضع سنوات من القرن التاسع عشر ، فقد روى أنه وجد ميلاده مدونا على جلد مصحف ، وهو على الضبط : ليلة الأربعاء في ١٤ شعبان ١٣١٤هـ ، ويوافق بالتاريخ الميلادي ١٩ كانون الثاني ١٨٩٧م [٥].

ودمشق هي مسقط رأسه ، حيث ولد في بيت أثري قريب من الجامع الأموي ، في زقاق يدعى زقاق الصوّاف [٦]، بحي الشاغور[٧]، وأشار بعضهم إلى أنه في حي القنوات [٨]، وهما حيان متداخلان يعدان بمثابة الحي الواحد .

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق ٨٩٤/٢ .

(٢) انظر : مجتمع مدينة دمشق ٤٧٠/٢ .

(٣) من رسالة وصلتني من الأستاذ رؤوف جبري – شقيق الشاعر – مؤرخة بيوم ١١ تموز ١٩٩٢م .

(٤) انظر : عشرة من الناس ٧٤ .

(٥) نقلا عن مقدمة ديوانه " نوح العندليب " ص ٧ ، أشرف على طباعته قدري الحكيم . ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٠هـ .

(٦) مشافهة من أخيه رؤوف .

(٧) أعلام الأدب والفن ١٤٣/٢ .

(٨) انظر : شفيق جبري ، بقلم أحمد الجندي ص ٦٩ ، مجلة العربي العدد ١٢ ، ربيع الآخر ١٣٧٩هـ .

ثقافتـــه :

يعد شفيق جبري من الطائفة التي وصفها جميل صليبا[١] بأنهم « المعتدلون المولعـون بالقديم والحديث معا ، الراغبون فـي ثقافـة عربيـة متجـددة ، تستمـد مـن الماضي ... وتقتبس من الثقافات الأجنبية مايلائم عبقرية العرب ومزاجهم الثقافي »[٢].

وحتى تنبسط المعاني الكامنة في الكلمة السابقة ، يجدر بي أن أشير إلى أن ثقافة جبري شكلتها عدةُ مناهل :

أولها : دراسته الأولية ، ويمكن جعلها مرحلتين :

أ - المرحلة الأولى : في كتاتيب حارته ، حيث تعلم القرآن الكريم ، والخط والحساب[٣].

ب - المرحلة الأخرى : في مدرسة " الآباء العازاريين الفرنسيين " ، وفيها درس العلوم الابتدائية والثانوية[٤] ، وربما كانت دراسته في مدرسة العازاريين وهي مسيحية ، لكونها مع مثيلاتها من المدارس الإرسالية المسيحية ، أولت اهتماما بالغا باللغة العربية، في وقت ضعفت فيه حالها في المدارس الحكومية ، وقل الاهتمام بها ، إضافة إلى كونها تعلم باللغة التركية[٥].

إلا أن هذه المدرسة - مع حرصها على اللغة العربية - لم ترض طموح الفتى ، الذي رأى في طريقة التدريس كثيرا من العُقْم ، فهي تدرّس الطبيعيات والفلك تدريسامجرّدا ، وتدرّس النحو عن طريق حشو أذهان التلاميذ بقواعده ، وتعلّم الأدب تعليما جافًا[٦].

---

(١) جميل صليبا (١٩٠٢ - ١٩٧٦م) أديب سوري ، نال الدكتوراه في الفلسفة ، وانتخب عضوا في المجمع اللغوي بدمشق ، له مؤلفات كثيرة ، أهمها المعجم الفلسفي في مجلدين (شموع في الضباب ٧٥) .

(٢) محاضرات في الاتجاهات الفكرية ص ٦٧ .

(٣) انظر : الأدب العربي المعاصر في سورية ٣٠٤ .

(٤) انظر : أعلام الأدب والفن ١٤٣/٢ .

(٥) انظر : محاضرات في الاتجاهات الفكرية ٦٢ .

(٦) انظر : أنا والنثر ١١ .

وشاء الله أن يفتح لهذا الفتى بابا إلى ضرب من الثقافة جديد ، تمتزج فيه حرية الاطلاع وسعته ، بالنَّهَلِ من منابع الأدب الثرة ، فالتقى رفيقا له رأى ضعف كتابته ، فنصح له أن يهتم بها ، وأن ينمي ذوقه[١] ، فلاقى ذلك قبولا لديه ، فصارا يذهبان معا إلى إحدى المكتبات العامة ، ويقرآن فيها ، قال جبري عن هذه المرحلة : « كنا ننتاب هذه المكتبة في حي رفيقي ... فما كنا نجالس من الشعراء إلا شيخنا أبا الطيب [٢]، ولاكنا نحادث من الكتّاب إلا أستاذنا ابن المقفع »[٣].

هذا أول مناهل ثقافته ، أما المنهل الثاني فهو توفره على قراءة التراث الشعري والنثري ، وذلك إبان الحرب العالمية الأولى ، حينما رحل مع والده إلى يافا فالإسكندرية ، حيث اشترى ديوان المتنبي ، وحفظ منه ماتيسر له حفظه[٤] ، وأخذ نفسه بحفظ روائع النثر والشعر ، في رسائل الصابي[٥] وكليلة ودمنة والمعلقات وديوان البحتري[٦] وديوان الشريف الرضي[٧] وغيرها [٨].

وقد ظهر أثر قراءاته فيما كتب في تلك الفترة ، فكان يحرص على اللفظ أكثر ، ثم لما قرأ مقدمة ابن خلدون[٩] ، تفتحت مداركه ، وأدرك أن الاحتفال بالمعنى والفكرة

---

(١) انظر : أنا والنثر ١٥ .

(٢) المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) أبو الطيب أحمد بن الحسين ، مالئ الدنيا وشاغل الناس ، وحكيم الشعراء ، اتصل بسيف الدولة وكان شاعره الأثير ، واتصل بكثير من ساسة عصره ، وكان عالي الهمة طموحا ، قُتل مع ولده عام ٣٥٤ هـ . (الأعلام ١١٥/١) .

(٣) المتنبي ، بقلم شفيق جبري ص ٢٧١ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد العاشر ، الجزء الخامس ، ذو الحجة ١٣٤٨هـ .

(٤) انظر : أنا والنثر ١٧ .

(٥) الصابي (٣١٣ - ٣٨٤هـ) نابغة كتاب جيله ، تقلد دواوين الرسائل والمظالم وتعرض للسجن وأخذت أمواله في زمن عضد الدولة ، نشرت رسائله وله شعر . (الأعلام ٧٨/١) .

(٦) أبو عبادة البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) شاعر كبير ، يقال لشعره سلاسل الذهب ، اتصل بالخلفاء ونادم المتوكل ، له ديوان مطبوع ، وله حماسة يقلد فيها أبا تمام . (الأعلام ١٢١/٨) .

(٧) الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) شاعر من آل البيت ، عاش في العصر العباسي ، كان أبيّ النفس طموحا ، خلف أباه في نقابة الطالبيين ، وغلب على شعره الفخر وبرع في الغزل ((تاريخ الأدب العربي ٥٩/٣) .

(٨) انظر : أنا والنثر ، وانظر كذلك : فنون الأدب المعاصر في سورية ٤١٩ ، د. عمر الدقاق ، دار الشرق العربي ، بيروت ، غير مؤرخ .

(٩) ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من إشبيلية ، له آثار كثيرة أهمها تاريخ ابن خلدون الذي تعد مقدمته من أصول علم الاجتماع ، كتب عنه الكثير . (الأعلام ٢٣٠/٣) .

أولى وأجدر [١].

وعلى الرغم من كون جبري - كما يقول عن نفسه - محدود الاطلاع ؛ نظراً لصغر مكتبته ، ولكونه أصيب بالتراكوما في صباه ، مما جعل القراءة الطويلة تؤذي عينيه ، على الرغم من ذلك كوّن لنفسه ثقافة عظيمة ؛ لأنه صار يقرأ قراءة بطيئة ، نفعته نفعا عظيما ؛ لكونه حين يقرأ يتأمل ويفكر ، فيغيب فكره ، فينكشف له في هذه الغيبوبة عالم يغرق في صوره وخيالاته[٢] .

إذاً فالمنهل الثاني هو اطلاعه على الأدب القديم ، وهو كغيره من أدباء ذلك العهد على العموم - كالزركلي[٣] ومردم[٤] - يسحرهم القديم ، ولايعجبهم الأدب الحديث [٥].

وما رأي الطنطاوي[٦] الذي ذهب فيه إلى أن « حظه من الاطلاع على الأدب القديم حظ قليل »[٧]، ماهو بالصواب ؛ ذلك أن المتابع لحياة جبري ، والقارئ لكتبه ، يلمس أثر هذا الاطلاع ، بل قد يحكم بأنه تجاوز معاصريه في ذلك .

بالإضافة إلى كونه درس في مطلع حياته التصريف والنحو والإنشاء والبديع والعروض والخطابة ، وكتب مختارات في الأدب[٨] ، إضافة إلى ذلك أخذ نفسه - كما أشرت من قبل - بالقراءة الجادة في الأدب والتاريخ والفلسفة ، وظهر أثر ذلك في شعره[٩] ، ونثره [١٠].

---

(١) انظر: أنا والنثر ١٩.

(٢) انظر : أنا والنثر ١٣٠ .

(٣) خير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ) شاعر سوري ، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام ، ففر إلى مصر، اتصل بالشريف حسين بن علي ، ثم بالملك عبدالعزيز ، وعمل في حكومته ، له ديوان مطبوع باسمه ، وأجل آثاره كتاب الأعلام في ثمانية مجلدات .(انظر ترجمته لنفسه الملحقة بالأعلام ٢٦٧/٨).

(٤) انظر ترجمة مفصلة له في الفصل الرابع من هذا البحث .

(٥) انظر : اتجاهات النقد الحديث في سورية ٥٩ .

(٦) علي الطنطاوي (١٩١٠ - ...) أديب سوري ذو أسلوب ممتع ، شارك في الثورة ضد الاستعمار بقلمه، وكانت له مواقف محمودة في نصرة قضايا الإسلام ، واستقر في آخر عمره في السعودية ، من مؤلفاته الغزيرة الذكريات في ثمانية أجزاء وصور وخواطر وأخبار عمر . (انظر ذكريات الطنطاوي) .

(٧) ذكريات الطنطاوي ٢٠٢/٢ ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٨) انظر : أنا والنثر ١١ .

(٩) انظر : تاريخ الشعر العربي الحديث ٢٠١ ، أحمد قبّش ، دار الجيل ، بيروت ، وستأتي شواهد هذا التأثر عند الحديث عن شعره .

(١٠) انظر : العناصر النفسية في سياسة العرب ، الصفحات : ٣٣ - ٨٥ - ٤٠ على سبيل المثال ، شفيق جبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

أما ثالث مناهل ثقافته ، فقد كان بحرَ اللغة الواسع الثرّ ، فهو ممن أولعوا بها ، ورأوا في حياتها حياة للعرب ، وكان يقول عنها : إنها أعظم شيء في حياة الأمة التي تتغنى بقوميتها .

وكان ذا ولع شديد بتتبع ألفاظ اللغة وتطورها ، وتفرع معانيها ، وحياتها ، ونشاطها من عصر إلى عصر ، وقد هداه تعمقه في هذه البابة إلى استنباط معان طريفة غاية في اللطف ، تدل على ما أوتي من حس دقيق [١].

كان يرى أن العربية لغة لم تضق في يوم من الأيام عن تصوير نتائج القرائح وثمرات الخواطر[٢] ، وقاده حبه لها وحرصه عليها إلى أن يضمّن مقالاته التحليلية لبعض الكتب ، وبعضَ دراساته الأخرى ، نقداتٍ لغوية [٣]، بل إنه دعا [المجلس الأعلى للفنون والآداب] إلى أن يعاقب « المتهاونين بلغتهم وبيانهم ، كما يكافئ المعتنين بهذه اللغة » [٤].

وتعدى ولعه باللغة إلى تلامذته ، فقد كان يطلب منهم أن يقفوا عند ألفاظ وتعبيرات تدل على جوانب من حياة القوم [٥].

ومما لاشك فيه أن اختيار شفيق جبري للانضمام إلى المجمع العلمي ، شهادة كبيرة من أعضائه بتمكن جبري في اللغة ، وفقهه دقائقها وأسرارها .

على أن ولعه باللغة ، لم يجعله منغلقا عليها ، أو موصدا أبواب الجديد ، ولكنه وقف موقفا وسطا بين المتشددين في المحافظة عليها ، وبين المجددين الذين يريدون إيجاد لغة جديدة ، ورأى أنه لامانع من الاستفادة من اللغة العامية [٦]، بل إنه يرى أن انطماس اللغة اللاتينية المدرسية ، لغة الكتاب الرومانيين ، كان بسبب امتناعها عن

---

(١) انظر : أنا والنثر ١٥٧ .

(٢) انظر : الجاحظ معلم العقل والأدب ١٠٧ ، شفيق جبري ، دار المعارف بمصر ، غير مؤرخ .

(٣) انظر مثلا : مجلة المجمع ، مج ١٠ ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ و مج ١٢ ، ج ٦ ، ص ٣٧٧ .

(٤) انحدار الأنواق ، بقلم شفيق جبري ، ص ٩٥٩ ، مجلة الأزهر ، رمضان ١٣٧٩هـ .

(٥) انظر : شفيق جبري باحثا لغويا ، بقلم عبدالفتاح المصري ، ص ٣٣ ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١١٣ ، أيلول ١٩٨٠م .

(٦) انظر : الجاحظ معلم العقل والأدب ١٧ ، وكذلك : فصول في اللغة والأدب ١٣٨ ، ظافر القاسمي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ .

تتبع العامية ، وتشددها في المحافظة [١].

وماسلسلة مقالاته في مجلة المجمع ، التي جعل عنوانها (بقايا الفصاح) إلا دليل على مذهبه ذلك .

ورابع هذه المناهل هو [الاطلاع على الثقافات الأجنبية] ، فقد كان جبري يؤمن بأن الثقافة القوية لاتأتي إلا حين يأخذ الكاتب من كل فن بطرف [٢]، كما كان يرى أن معرفة اللغات بمنزلة التطعيم لأدبنا وثقافتنا [٣].

ولذلك كان سعيه حثيثا لمعرفة اللغتين الفرنسية والانكليزية ، وقد أتقن الأولى في مدرسة العازاريين ، ثم أتم معرفته بها في أثناء سياحته في أمريكا [٤]، وأما الانكليزية ، فقد كان له معرفة جيدة بها [٥]، ولكنها لم تصل إلى مستوى الفرنسية .

وذهب بعض الباحثين إلى أن جبري لاتيني الثقافة ؛ بسبب إتقانه لغة الفرنسيين ، وتعمقه بآدابهم [٦].

لكن باحثا آخر أشار إلى أن تأثره بالثقافة الأجنبية لم يتعد جانب المضمون ، وقد انحصر هذا التأثر في نطاق التأليف والمحاضرة ، وفي مجال النقد الأدبي ، أما الأدب المحض من حيث كونه فنا خالصا ، فكان تأثره به على صعيد النثر محدودا ، وعلى صعيد الشعر معدوما [٧].

لقد كان جبري حريصا على الاتصال بآداب الغربيين ، وبخاصة الأدب الفرنسي ، حتى بعد أن تجاوز الستين ، إلى أن تبحّر فيه ، وأتقنه إتقانا جعله يكتب مقالات باللغة الفرنسية نفسها ، ومن دلائل ذلك التبحر غزارة الأسماء التي عرفها ،

---

(١) انظر : الجاحظ معلم العقل والأدب ١٧ .
(٢) انظر : أنا والنثر ٣٤ .
(٣) انظر : السابق ٥٩ .
(٤) انظر : الموسوعة الموجزة ، ج ١٣ ، مج ٤ ، ص ٤٠ ، تأليف حسان الكاتب ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م .
(٥) انظر: أرض السحر ٢١٦ ، شفيق جبري ، نشر وزارة الثقافة ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٦٢م .
(٦) انظر : فصول في اللغة والأدب ١٤٧ .
(٧) انظر : تأثير الغرب في أدب شفيق جبري ، ص ٣٥ ، بقلم عمر الدقاق ، مجلة الثقافة السورية ، العدد الخاص عن شفيق جبري .

وبثها في مقالاته وكتبه ، واستشهاده بأقوالها وآرائها [١].

ومن النقاد والأدباء الأجانب الذين تأثر بآرائهم برونتيير[٢] ، وغوستاف لانسون [٣]، وسانت بوف[٤] ، وغيرهم[٥] ، غير أن الذي استأثر بإعجابه إلى حد بعيد ، هو " أناتول فرانس "[٦] الذي نعته بالكاتب العظيم ، وقال عنه إنه « انفرد ... بتصفية ذوقي وتهذيب شعوري ... ملك عليّ كل ناحية من نواحي نفسي ... أسكرني بلغته وصوره وأفكاره »[٧].

واعترف بأنه تأثّر بكثير من آرائه ، وأنها عملت فيه عملها [٨]، وما انفك يردّد اسمه في كثير مما كتب ، ويمنحه الثناء البالغ ، ويوازن بينه وبين بعض أدباء العرب ، على أنه لم يقتصر في هذه الموازنة على فرانس وحده ، بل شمل بها كثيرا من الكتاب الغربيين [٩].

---

(١) انظر : المرجع السابق ٢٨ ، وانظر كذلك مقال فن العمل الجبري ، مجلة الثقافة المصرية ، السنة الأولى، العدد ٤٧ ، ص ٩ ، ١٠ شوال ١٣٥٨هـ .

(٢) فرديناند برونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٦م) كان رئيس تحرير مجلة (العالمين) ، وكان معجبا بأدب القرن السابع عشر ، ويرى مايراه الكلاسيكيون من ضرورة الغاية الخلقية للأدب ، ولهذا كان ضد حركة الفن للفن ، وثار ضد النقد الذاتي . (نقلا عن الأدب المقارن ٧٠ ، محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٣م) .

(٣) غوستاف لانسون : لم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر .

(٤) سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٦٩م) من كبار النقاد الفرنسيين ، ومن آباء النقد الحديث في العالم ، وعنده أن النقد الأدبي يجب أن يكون خالقا كالأدب ، واتجاهه في نقده تحليلي تطبيقي . (نقلا عن الأدب المقارن ، ص ٤٧ ، محمد غنيمي هلال) .

(٥) النقد الأدبي الحديث في سورية ٣٩ ، سمر روحي الفيصل ، منشورات الأهالي بدمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

(٦) أناتول فرانس (١٨٤٤ - ١٩٢٤م) من مشاهير أدباء فرنسا وبلغائهم ، عُرف بفلسفته الساخرة ، وكان أبيقوري المنهج في حياته ، وله آراء كثيرة في الحياة والمرأة يغلب عليها التشاؤم . (نقلا عن " أناتول فرانس " بقلم وجيه بيضون) .

(٧) راجع ص ٦ من مقدمته لكتاب أناتول فرانس ، تأليف وجيه بيضون ، مطابع ابن زيدون بدمشق ١٣٨٢هـ .

(٨) انظر : أنا والنثر ، الصفحات : ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ .

(٩) انظر : أطوار النقد ، بقلم شفيق جبري ، ص ١٦٨ ، مجلة المجمع ، مج ١٠ ، ج ٣ .

ولقد دعاه استغراقه في قراءة آثار الغربيين إلى أن يفضّل كثيرا من مناهجهم ومبادئهم في الفكر والأدب ، على مناهج العرب ومبادئهم [١]، بيد أنه لم يغلُ في ذلك ، بل ظل ينظر إلى الأدب العربي نظرة المكْبِر المقدّر ، ودعا إلى أن يكون الأخذ عن الغربيين مقترنا بالمحافظة على روح أدبنا [٢].

وهذا الاطلاع الواسع في آداب الغربيين ، لم يجعله ينزلق إلى الانقلاع أو الاجتثاث من تربة الوطن ، ولامن تراث الأمة [٣]، ولكنه انزلق إلى أمر آخر أشد خفاءً ، جعله يطرح آراء لايُوافق عليها ، كقوله إن محمدا ﷺ شرع الحج للناس ، حتى ينفع قومه ووطنه ، ويعزّز اقتصادهم ، فهي في رأي جبري « نزعة وطنية بليغة تدلنا على مقدار تعلق سيدنا محمد بوطنه » [٤].

ومنها قوله إن « التطور ينقل الإنسان من درجة سفلى إلى درجة عليا ، كما نقل الإنسان من درجة الحيوان إلى درجة البشر » [٥].وهو رأي يذكّر بنظرية التطور التي قال بها دارون [٦].

هذه أهم مناهل ثقافة جبري ، وثمة ثقافات أخر اكتسبها من اطلاعه في العلوم التجريبية ، ومايدور في فلكها ، وفي بعض مقالاته وكتبه مايدل على شيء من المعرفة بها ، كمناقشته الجاحظ [٧] في نظرية جمود الماء ، ونظرية التولد الذاتي للأحياء ، فقد

---

(١) انظر مثلا فن التفكير ، بقلم شفيق جبري ، ص ٧ ، مجلة الثقافة المصرية ، السنة الأولى ، العدد ٣٤ . وانظر كذلك : بين البحر والصحراء ٥٢ ، شفيق جبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : تمازج الثقافات ، بقلم شفيق جبري ١٠٧ ، مجلة المجمع ، مج ١٠ ، ج ٢ .

(٣) انظر : " ديوان نوح العندليب يرى النور توا " بقلم عادل الفريجات ٤٢ ، مجلة جيش الشعب ١٩٨٤/٩/١٥م.

(٤) دراسة الأغاني ٢٦٩ ، شفيق جبري ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٠هـ .

(٥) رأي في الشعر الحر ، لاوزن ولاقافية ، بقلم شفيق جبري ٣٣ ، المجلة العربية ، السنة الثانية ، العدد الرابع .

(٦) دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) من مشاهير علماء الأحياء في انجلترا ، قال بنظرية التطور ، وأصدر كتاب (أصل الإنسان) الذي قال فيه إن أصل الإنسان قرد ، فأثار غضبا وجدلا كبيرا . (الخالدون مئة ٧١، أنيس منصور) .

(٧) الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) عمرو بن بحر ، من مشاهير الكتاب ، له من الآثار : الحيوان والبيان والتبيين ، ومجموعة رسائل . (الأعلام ٧٤/٥) .

ردّ رأيه فيهما ، مستعينا بما وصل إليه العلم الحديث [١].

وواضح مما سبق أن جبري مثقف واسع الثقافة ، وأن ثقافته كانت « تعبّر عن حرية المثقف ، وانفساح الأفق أمامه ، ليكون على النحو الذي يشاء ، لاتحكمه فكرة معينة » [٢].

ولعل من أسباب وصوله إلى أكثر مما وصل إليه غيره أنه - كما يقول شكري فيصل[٣] - كان يطلب المعلومة من أطول السبل ، يريد أن يعاينها أولا من بعيد ، ثم من قريب ، ثم يختزنها اختزانا ، وأنه كان يقرن قراءته بحس نقدي مرهف [٤].

إن جبري رائد من رواد الثقافة المعاصرين « وإن كان لنا أن نأخذ بمقولة ذهب أصحابها إلى أن الثقافة ... هي صوغ الإنسان سلوكا سويا ، فجبري من طليعة المثقفين » [٥] .

---

(١) انظر : الجاحظ معلم العقل والأدب ٢٤٥ .

(٢) من كلمة المجمع اللغوي التي ألقاها شكري فيصل في أربعين جبري ، ص ٢٢٨ ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) شكري فيصل (١٩١٨ - ١٩٨٥م) أديب وعالم سوري ، عضو المجمع اللغوي بدمشق ، درّس في جامعة دمشق والجامعة الإسلامية بالمدينة ، توفي بالمدينة ودفن بها ، اشترك في تحقيق كثير من الكتب ، وله عدد من المؤلفات . (مجلة المجمع مج ٦٠ ، ج ٤ ، ص ٦٦٧ ، محرم ١٤٠٦هـ) .

(٤) انظر : كلمة المجمع اللغوي التي ألقاها د . شكري فيصل في أربعين جبري ٢٢٩ ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١٠٧ - ١٠٨ .

(٥) من كلمة عدنان درويش في أربعين جبري ٢٣٩ ، المرجع السابق .

شخصيتـــــه :

الحديث عن شخصية جبري شائق ممتع ؛ لكونه جمع صفات متناقضة الظاهر ، متلائمة الباطن ، فهو رجل متواضع ، ولكنه في الوقت عينه متعالٍ معجبٌ بنفسه ، وهو إنسان رقيق « يخشى النسمة ، ويخاف من اللمسة والهمسة »[١] ، وهو مع ذلك قوي الشخصية مهيبها ، وهكذا ، ولكي تبين معالم شخصيته من كل جوانبها ، أبدأ بعرض صفاته الخلْقية ، ثم أعرّج على ذكر صفاته الخُلُقية ، باسطا القول في ختامها في صفات تميّز بها ، وكانت موضع تساؤلات .

وأول صفاته الخلْقية أنه ذو « قامة مديدة فرعاء ، تعلوها هامة مستديرة ، ووجه مستطيل جذّاب ، ذو ملامح من جمال خاص ، فيه عينان نضاحتان بالذكاء .. وبشرة بين البياض والسمرة الخفيفة »[٢] ، وهو حين يمشي « ينحني على نفسه قليلا ... ولايلتفت يمينا أو شمالا »[٣] ، « عليه سيماء القوة والعنفوان من بعيد »[٤] .

ووصفه أحد معاصريه - في آخر حياته - بأنه « عريض المنكبين ، أبيض الشعر ، أحمر الوجه ، يضع على رأسه قبعة من " الفلّين " ، وعلى عينيه نظارتين سوداوين ، يسير بهدوء »[٥] ، كما وصفه آخر في عام ١٩٥٩م بأنه « يتمتع بشباب ينضح على جسمه ولونه وصوته »[٦] .

وحريٌ بي ألا أطيل في الحديث عن الصفات الخلْقية ؛ لعدم ارتباطها الارتباط الوثيق بدراسة حياة الأديب ، وإنّ بسط الحديث عن الصفات الخُلُقية والطباع ، يكون أجدى لما يؤديه من إلقاء بعض الضوء على أدبه وإنتاجه بعامة ؛ ولكون الأدب في الحقيقة ترجمانا لطباع الأديب ، ومرآة ينعكس عليها ماتنطوي عليه جوانحه من خير أو شر .

---

(١) شفيق جبري ، بقلم أحمد الجندي ، ص ٧٢ ، مجلة العربي .
(٢) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، بقلم خالد قوطرش ، ص ٨٤ ، مجلة الثقافة السورية ، كانون الثاني شباط ١٩٨٩م .
(٣) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، بقلم أحمد الجندي ٤٥ ، المرجع السابق .
(٤) شفيق جبري ، بقلم أحمد الجندي ٦٩ ، مجلة العربي .
(٥) عشرة من الناس ٧٤ .
(٦) خمسة أيام في دمشق الفيحاء ١٠٠ ، علي الجندي ، نشر مكتبة نهضة مصر ، عام ١٩٥٩م .

لقد عُرف شفيق جبري بالذكاء والفطنة ، ولربّما تكشّف لمن يطالع رحلته إلى أمريكا في كتابه " أرض السحر " الذي هو في حقيقته مذكرات شخصية ، دلائل كثيرة تشير إلى ماجبل عليه من الفطنة والحذر ، وحسن التخلص من بعض المواقف [١].

واقترن بذلك الذكاء نفس ميالة إلى الظرف ،شغوف بالمزاح، تجد شواهد ذلك منثورة في : أرض السحر " ، فهو يروي كثيرا من المواقف الطريفة التي وقعت له[٢] ، كما أن بعض معاصريه رووا بعض مواقفه الطريفة الساخرة [٣]، فقد كانت حياته « حياة يضحك فيها السن ، ويغلب عليها حب النادرة البارعة وصناعتها أو حكايتها ، وتتغشاها النكتة الحلوة ، ويتردد في آفاقها صدى الضحكة العريضة » [٤].

ولذلك « كان حديثه مرحا ، واستقباله لمن يحب حافلا ، ونوادره .. تتدفق ساخرة ضاحكة » [٥]، ولابد لمن اتصف بتلك الصفات أن يحب الناس ، وأن يحبه الناس ، وهو ماوقع لجبري ، فإنه كان في معتزله ببلودان ، يجتمع بأهلها ، وكانوا يحبونه ؛ لأنه كان لايزجر أحدا ، ولايتذمر منه ، حتى لو كان غير عاقل ، فقد روى أنه كان منحدرا إلى داره ، فتبعه أحد المجاذيب ، وجاراه ليسليه ، فلم يزجره ، ولم ينهره ، بل تجاذب معه أطرافا من الحديث [٦].

كما أن في شعره دلائل على هذا الميل إلى الناس ، والعيش بينهم ، كقوله في قصيدة " بغداد " [٧]:

قالت دمشق وقد ناجيت غُوطتها * وصائح الدَّوح في جنبيّ مطّرد
ما أنت والبيد تطويها وتنشرها * كأنها اليمّ منزوح به الأمد
خلِّ الفلا والمها والشيح إن لها * ركبا من الجن لايأوي لهم أحد

---

(١) انظر : أرض السحر ٢٥٤ مثلا .
(٢) انظر : المرجع السابق ، الصفحات : ٢٥ - ٩٦ مثلا .
(٣) انظر : أدبنا الضاحك ٣٥٧ ، عبدالغني العطري ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .
(٤) مقدمة شكري فيصل لديوان " نوح العندليب " ١٦ .
(٥) من حوار جرى مع صديقه سعيد الجزائري ، نشرته مجلة الثقافة السورية ، ص ٧٧ ، كانون الثاني شباط ١٩٨٩م .
(٦) انظر : أرض السحر ، ص ٨ .
(٧) ديوان " نوح العندليب " ٢٧٠ .

إنه هنا « لايأنس بالصحراء ، فيخاطب نفسه قائلا عودي إلى الغوطة ... وفي ذلك إشارة إلى مافي نفسه من ميل إلى الحياة بين الناس »[١].

لكن هذه النفس الضاحكة الطربة الميالة إلى الناس ، تفجأك بصفات تعارض الصفاتِ الأُوَل ، فهي نفس تسيطر عليها الكآبة ، ويغلب عليها الحزن ، وأي دليل أكبر من قوله عن نفسه لما عرض لذكر إبراهيم ناجي[٢] « فالكرب الذي طبع عليه ناجي قد طبع على مثله كثير من الناس ، وأنا منهم »[٣] ، ومارواه عن نفسه أيضا حين كان يتكلم على شوقي[٤] في كلية الآداب ، فجاء ذكر قصيدته :

شيعت أحلامي بطرفٍ باكٍ * ولممت من طرق الملاح شباكي[٥]

يقول : « فما أنشدت ثلاثة أبيات منها إلا شعرت بخفوت في صوتي ، وبدموع أوشكت أن تنحدر على خدي ، فقطعت الإنشاد وخجلت بعض الخجل من نفسي »[٦].

ومن غير المستغربِ إذاً أن تكون هذه النفس الحزينة الباكية ، غيرَ منفتحةِ الصدر للجدال[٧] ، ضجرةً بكثرة المداولات والمناقشات[٨].

ولكن أرأيتم كيف اجتمع في هذه النفس حب الضحك والميل إلى المزاح ، والكآبة والحزن في وقت معا ؟ أذلك تناقض في حياته ؟ أم انفصام في شخصه ؟ إنه ليس هذا ولاذاك ، ولكنها النفس الشاعرة التي يؤلمها أن تشرك الناس في آلامها ، فتنطوي عليها ، ولاتظهر لهم إلا الوجه الضاحك رأفة بهم ، ورغبة في إسعادهم .

---

(١) انظر : محاضرات في الاتجاهات الفكرية ١٥٩ .

(٢) إبراهيم ناجي (١٣١٦ - ١٣٧٢هـ) طبيب مصري وشاعر ، اشتغل بالطب والأدب ، كانت به نزعة صوفية ، له ديوان مطبوع . (الأعلام ٧٦/١) .

(٣) انظر : أنا والنثر ١٨٢ .

(٤) أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥١هـ) أشهر شعراء العصر الحديث ، لقب بأمير الشعراء ، نشأ في ظل البيت المالك في مصر ، وسافر إلى فرنسا وإسبانيا ، من آثاره الشوقيات ، ومسرحيات شعرية وأسواق الذهب ، كتب عنه الكثير . (الأعلام ١٣٦/١) .

(٥) الشوقيات ١٧٧/٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٨م .

(٦) أنا والشعر ٧٥ .

(٧) انظر : ذكريات الطنطاوي ٢٠٢/٢ .

(٨) انظر : أرض السحر ٣١ و ٤٣ .

ولعل تأليفه كتابيْ تجربتيه الشعرية والنثرية ، يضع أيدينا على ناحية أخرى من نواحي شخصيته ، فهو رجل يؤلمه النقد ، ويجرحه قول خصومه ، ويخاف من ألسنة النقاد ، ويأبى أن يترك أدبه وشخصيته مجالا لاجتهاداتهم ، وقد أشار شكري فيصل إلى شيء من هذا القبيل ، وعزاه إلى ذاتيته [١].

وجبري زيادة على ماتقدم ، حييٌّ ، رقيق الطبع[٢] ، روى عن نفسه أنه لم يصعد منبرا لإلقاء قصيدة ، إلا كانت الخشية تأخذه كل مرة ، ولاترجع الطمأنينة إليه إلا بعد الفراغ من الإلقاء [٣].

وربما استطعتَ تبيّن هذه الصفة فيه - أعني رقة الطبع - من خلال نقده ، فهو كثيرا مايأخذ على بعض الكتاب ، استخدام كلمات قاسية ، كالتضريج والتعفير والتحطيم[٤] ، وكم كان يتحرج حين يجد الجاحظ أو الشدياق [٥]، لايتحاميان « ألفاظا نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة »[٦]، فيعمد إلى وضع نقاط في مكانها حين ينقلها ، وربما صرّح بتحرجه من الخوض في مثل تلك الموضوعات التي تتلم الشعور [٧].

وهذه الرقة التي اتّسم بها صاحبنا ، جعلته يؤثر الهدوء ، والبعد عن الضوضاء والضجيج ، ويجنح للاتزان والرصانة ، ولذلك كان أكثر عيشه في منزل هادئ في مصيف بلودان [٨].

---

(١) انظر : مقدمة الديوان ٢٤ .

(٢) شفيق جبري ، بقلم أحمد الجندي ٧٢ ، مجلة العربي .

(٣) انظر : أنا والشعر ١٠٥ .

(٤) انظر مثلا : تقريظ كتاب " في دولة الأدب والبيان " بقلم شفيق جبري ١٢٢ ، مجلة المجمع اللغوي ، مج ١٢ ، ج ١ و ٢ .

(٥) أحمد فارس الشدياق (١٢١٩ - ١٣٠٤هـ) عالم باللغة والأدب ، لبناني ، رحل إلى مصر وأوروبا وتونس ، وأسلم فيها ، أصدر جريدة الجوائب ، من آثاره الجاسوس على القاموس ، وديوان شعر . (الأعلام ١٩٣/١) .

(٦) الجاحظ معلم العقل والأدب ٢٦١ .

(٧) أحمد فارس الشدياق ٥٩ ، شفيق جبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٨) انظر : صناع الأدب ١٣٩ ، وبلودان : أشهر مصايف سورية ، تبعد عن دمشق خمسين كيلا ، اشتهرت ببساتينها وشلالاتها . (الدليل الأخضر للسياحة والآثار في سورية ٦٠ ، تأليف : أكرم وفؤاد الساطع ، دار الفكر ، دمشق ١٩٧٥م) .

وهو يحب كثرة الصمت ، وهذا ماجعله يأنس بصاحبه في رحلته إلى أمريكا ، حيث قال عنه : « وجدته هادئا في مظهره ، قليل الكلام ، ولايزعجني شيء مقدار الثرثرة »[١].

لقد آثر جبري صحبة الطبيعة على صحبة الناس[٢]، يسرّح بصره في هدوئها ، ويغمر نفسه بجلال الكون « فلم يعرف عنه أنه انساق إلى حياة صاخبة عنيفة »[٣] ، كانت حياته حياة العاقل المفكر ، التي يأتلف فيها الاتزان الفكري والعاطفي « فلم يسمح للعاطفة أن تفلت من عقال العقل ، ولم يترك العقل يطغى على العاطفة »[٤].

وقد يُظن أن هذه الشخصية الهادئة الرقيقة ، ستكون تبعا لذلك أقربَ إلى المسالمة والضعف ، ولكن العجيب أن صاحبها كان قوي الشخصية « له هيبة مهيبة ، يعلوها عنفوان ... وتميزها العزة والكرامة ، وشعور بالثقة في النفس »[٥] ، وأثر عنه أنه « لم يقل كلمة في شعره ونثره فيها تزلف إلى الفرنسيين أو مسايرة لهم »[٦].

وقد رويت له بعض المواقف مع هؤلاء المستعمرين[٧]، دلت على شجاعته في مواجهتهم ، وصراحته في عدائهم ، حتى عندما كان رئيسا لديوان المعارف ، وكانوا يحاذرون منه ، ويخشون معرّة كلامه فيهم ، ولذلك حين عُرض على رئيس الحكومة – في أيام الاستعمار – تسريح شفيق جبري من رئاسة ديوان المعارف ، رفض قائلا لوزير المعارف : « هل تريد أن يخرج من الوظيفة ليشن علينا حملة شعواء في الصحف »[٨].

وهذه القوة في المواقف امتزجت بتواضع ، دلت عليه بعض مواقف حياته ، كمجالسة البسطاء من الناس ، وركوب الحافلات الشعبية[٩]– حتى عندما كان عميدا

---

(١) أرض السحر ٥١ .
(٢) انظر : كلمة د . بديع حقي ٢٤٦ ، مجلة الموقف الأدبي .
(٣) شفيق جبري شاعر الشام ، بقلم خالد قوطرش ٨٩ .
(٤) المرجع السابق ٨٩ .
(٥) المرجع السابق ٨٤ .
(٦) ذكريات الطنطاوي ٢٧٩/٣ .
(٧) انظر : دمشق بدون شفيق جبري ، بقلم زهير ماردينى ، ص ٦٧ ، مجلة الثقافة السورية ، كانون الثاني شباط ١٩٨٩م ، وعشرة من الناس ص ٨٢ .
(٨) عشرة من الناس ٨٥ .
(٩) انظر : السابق ٨٥ .

لكلية الآداب - ، وأكّد هو هذا التواضع في كثير من مقالاته وكتبه ، فهو لايُدِلّ بحفظه ومعرفته ، ويرى أنه قاصر فيهما [١]، ويكره حديث المرء عن نفسه شعرا أو نثرا [٢]، ومن مظاهر هذا التواضع عدوله عن بعض الآراء ، وتصريحه بأنه كان على غير الصواب [٣].

وربما عكّر صفو تواضعه شيء من الاعتداد بالنفس ، والثناء عليها ، قد يتجاوز حد المقبول ، فيثني على شعره ثناء عطرا ، ويمدح نثره بجمل يعزّ عليه أحيانا أن يطلقها على غيره [٤].

وقد حدثني أخوه رؤوف جبري أن شفيقا سئل : هل تحفظ شيئا للجواهري[٥] ؟ فأجاب - باعتداد وتعال - : ومن الجواهري هذا ؟ [٦]، كما روى آخر أن جبري كان يرى نفسه أكبر من أعضاء المجمع الآخرين ، ويعتد أمامهم بأنه صاحب فن لايملكه الكثير منهم [٧].

إنني أقف هنا موقف المتأمل لهذه الشخصية التي تبدو أول وهلة متناقضة ، هل كان جبري متناقض الصفات حقا ؟ وإن كان كذلك فما سر هذا التناقض ؟ هل كان يتكلف ذلك ليضفي على حياته ستارا من الغموض ؟ أم كان يعاني من صراع جُوّاني في دخيلته بين تلك الصفات ؟ !

إنني أميل إلى القول بأنه لم يكن متناقضا ، ولكنه كغيره من الناس ، لايخلو من صفات متعارضة ، يحب ويكره ، ويضحك ويبكي ، يأنس بالناس حينا ، وينفر منهم حينا آخر ، تشرق الحياة في عينه ، وتظلم ، وتبيضّ وتسودّ .

---

(١) انظر : أنا والنثر ٢٧ .

(٢) انظر : نقده لديوان التيار لأحمد الصافي النجفي ، ص ٦٠١ ، مجلة المجمع ، مج ٢٣ ، ج ٤ .

(٣) انظر : القومية في عهد الأيوبيين ، بقلم شفيق جبري ٥٢ ، مجلة الأزهر ، محرم ١٣٧٩هـ .

(٤) انظر : أنا والشعر ١٠٤ .

(٥) محمد مهدي الجواهري (١٩٠٠ - ...) شاعر عراقي ، شارك في أكثر الثورات العراقية ، وأصدر عددا من الصحف ذات الميول اليسارية ، يعد شاعر مناسبات ، تميز بقوة شعره وجزالته ، صدر شعره في أربعة مجلدات باسم ديوان الجواهري . (تاريخ الشعر الحديث ٤٩٩) .

(٦) مشافهة من أخيه رؤوف .

(٧) انظر : لهو الأيام ٢٠٧ ، أحمد الجندي ، نشر رياض الريّس ، لندن ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

ومع ذلك فإني لا أستطيع نفي أن يكون لرهافة حسه - وهو الشاعر الرقيق - أثر في اجتماع تلك الصفات عنده ، والشاعر غالبا مايرى الواقع بعين لايراه الناس بها .

وليس ماتقدم هو كل مايقال عن شخصيته ، فثمة أمران يحتاجان إلى تأنٍ في العرض ، وتروٍّ في الحكم ، وهما عزلته ، وعدم زواجه طول عمره .

أما اعتزاله الناس ، فقد كان منذ حداثة سنه ميّالا إلى الانفراد[١] ، وقد « عاش في جميع مراحل حياته »[٢] وصرّح بأنه « لم يندم في حياته على هذا المزاج الرهباني ؛ لأنه رأى فيه سر شخصيته ، وسر حريته »[٢].

لقد جعله هذا المزاج ينفر من الناس ، فكان لايقبل الخروج في البرامج التلفازية، وحين أراد بعض أصدقائه أن يعملوا له حفل تكريم رفض[٣] ، ولكنه لم يكن ينفر النفرة كلها ، فقد كان يجتمع بالناس ، ويحضر المجالس ، ويقبل الدعوات ، في نطاق ضيّق ، فلما بلغ الستين اعتزل في منزله في مصيف بلودان[٤] ، وصار لايزور أحدا ، ومن أراد زيارته فعليه أن يقصد منزله صيفا كان الوقت أم شتاء[٥]، لأنه لم يكن ليغادر منزله إلا إلى قهوة متواضعة في سوق بلودان ، حيث « كان ينظر إلى الناس ويستمع إليهم أضعاف أضعاف مايستمعون منه »[٦]، أما حين يكون في منزله فإنه يقضي معظم الوقت في مكتبته ، وينقطع عما حوله ، فلا يجيب هاتفا ولا داعيا[٧].

لقد صوّر جبري عزلته هذه في قصيدته التي جعلها فاتحة الديوان ، حيث يقول:

ويؤنسني هجر الديار وأهلها * فلست أرى في الناس قاطبة أنسا

ومالي ومالناس أبغي وصالهم * فما وصلهم نعمى ولاهجرهم بؤسى

---

(١) انظر : أنا والشعر ٩٥ .

(٢) عشرة من الناس ٨٧ بتصرف .

(٣) مشافهة من أخيه رؤوف .

(٤) انظر : أرض السحر ٧ .

(٥) انظر : الموسوعة الموجزة ٤٢ ، والمجلة العربية ، عدد ١٢ ، السنة الثانية شوال ١٣٩٨ هـ ، مقال : حكاية شاعر ، بقلم زهير ماردينى ، ص ٢١ .

(٦) من كلمة شكري فيصل في مجلة الموقف الأدبي ٢٣١ .

(٧) انظر : حكاية شاعر ، بقلم زهير ماردينى ، ص ٢٠ ، المجلة العربية .

فمن يـك عن أهل الديـار بمعـزل * يرح نفسه من كل مايقلق النفسا[١]

وقال عن هذه القصيدة : « إنها تصور نفسي ، بل هي صورتي النفسية »[٢].

وعند إرادة البحث عن أسرار عزلته تلك ، يتشعب الحديث ، وتتضافر عدة أسباب مكوّنة صورة لنفسه التي رضيت بالعزلة .

فمن أسباب عزلته تلك ماذكره في قصيدته السينية السابقة ، حيث يقول :

وما يئِستْ نفسي من الدهر إنما * تنكرتِ الأخلاقُ فاخترتِ الياسا

فعزلته إذا جاءت لما رأى تغير أخلاق الناس ، وتنكر طباعهم ، وفساد ألسنتهم ، وهـو رجـل « رقيـق الشعـور ، تؤذيه الكلمة النابية ، والنكتة الجارحة ، والألفاظ القلقة »[٣]، فهي من هذا الباب عزلة اجتماعية .

ومن أسـباب عـزلته أيضا ، شـعوره بالغربة الزمانية ، حيث مضى لداته وأصحابه ، فلا الوجوه بالوجوه التي يعرف ، ولا الناس بالناس الذين كان يعاشرهم ويأنس بهم ، وفي هذا المعنى يقول :

خلَتْ من رجالات الحمى أربُعُ الحمـي
فلستَ ترى ربعاً عليهنَّ مخصبا

أروحُ وأغـدو موحشـاً فـوق جِلـق
فلستُ أرى ملهى عليها وملعبا

كأني غريبٌ بين أهلي ومعشري
وأقربُ خطبٍ أن تكـونَ مغرّبـا

ولـولا اعتزالـي فـي الجبـالِ وجُردها
لقـال فؤادي ما أمـضَّ وعذّبـا

حجبتُ عيونـي عـن مشاهـدَ سمجـةٍ
وإنـي سابقـى دونهـن محجّبـا[٤]

---

(١) نوح العندليب ، ص ١ .
(٢) شفيق جبري ورسالة لم تتم ٦٠ ، بقلم عادل الفريجات ، مجلة المعرفة ، عدد ٢١٩ ، أيار ١٩٨٠م .
(٣) الشـعر الحديث في الإقليم السوري ٢٠٩ ، د. سـامي الدهان ، مـعـهـد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠م .
(٤) انظر : فائت الديوان الملحق بهذا البحث .

ومنها ماصرّح به من أنه وقع في أزمات عاطفية ، وذاق حلاوة الحب ومرارته ، فما كان يطيق الجلوس إلى أحد ، وماكان يلذه إلا الخلو إلى نفسه ، والإصغاء إلى أحاديثها [١].

وللحالة النفسية التي جبل عليها الشاعر دور في تلك العزلة ، فقد « كان فيه قنوط الذي يخشى ألا يفهم ، فيعتصم في إباء، ويخفي شممه وراء المزاج الخاص»[٢].

ولكن بعض الباحثين أبعد النجعة ، حين عرّض بالشاعر ، واتهمه بأن عزلته جاءت بعدما تسلم الوظيفة ، فكأنما أراد من هذه العزلة الإبقاء على وظيفته [٣] . ولكن المتأمل في حياة جبري لايميل إلى موافقة هذا الرأي ؛ لأنه عرف عنه مواقف شجاعة بعيدة عن المجاملة للظالمين [٤]، كما أن عزلته التامة جاءت بعد تقاعده ، فلا مجال لاتهامه بما سبق .

وربما كانت عزلته هذه « التزاما صارما منه بقضية مجتمعه ، ومن ثم لاتكون مظهراً لسلبيته ، بقدر ماهي تعبير صريح عن موقفه ، ورفض جهير معلن لأوضاع لايرضى عنها »[٥].

ويذهب شكري فيصل مذهبا آخر ، يقرّر فيه أن عزلة جبري كانت « أثرا من آثار النزعة الرومانتيكية التي خالطت شعر بلاد الشام في الفترة التي بدأ فيها جبري يرسل شعره ، وينشره على الناس »[٦].

ولايمكن الجزم في الحقيقة بأسباب بيّنة مقنعة ، ولكني أميل إلى إضافة سببين مكملين للأسباب السابقة ، أحدهما متعلق بالحياة الأدبية التي شهدها الشاعر في آخر حياته ، حيث طغى الشعر الحديث ، وظهر الشعراء الشبان الذين ينظرون للقديم نظرة ازدراء ، فما كان من جبري وبعض أترابه إلا أن انزووا بعدا عن هذا الواقع

---

(١) انظر : أنا والشعر ٤٢ .
(٢) عشرة من الناس ٨١ .
(٣) انظر : شهر في دمشق ١١٢ ، عبدالله بن خميس ، مطابع الرياض ١٣٧٥هـ .
(٤) انظر ما سبق قبل صفحات.
(٥) انظر : قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ٢٢٣ ، د . عائشة عبدالرحمن ، مكتبة المعارف القاهرة ١٩٧٠م .
(٦) مقدمة الديوان ٢٠ .

وترفعا عن ترهاته [١].

والآخر متعلق بثقافته الفرنسية ، وفي نظري أنها أثّرت حتى في نمط حياته ، ولعل إيثاره العزلة كان على طريقة الكاتب الفرنسي " برناردين دي سان بيير "[٢] الذي قال : إن العزلة جبل عال تريني قمته الناس صغارا . « فهو يقصد من عزلته العزلة الفنية الأدبية التي يتفرغ فيها الأديب ... للسمو بالأدب .. السمو الممكن »[٣].

وأيًا ماكانت أسباب عزلته ، فإن الأديب « في حاجة إلى قدر من العزلة ، ترهف حسه ، وتفسح من آفاق رؤاه ، وتتيح له أن يصغي إلى دعاء الإلهام ونبض الوجود ، بعيدا عن صخب الزحام »[٤].

تبقى السمة الأخيرة من سمات شخصيته ، وهي عيشه عزبا وحيدا لازوجة له ولا أولاد[٥] ، ولم يَهُمّ بالزواج إلا مرة واحدة بعدما كاد يبلغ الستين[٦] ، ولكنه أخفق في تجربته ، وعدّها غلطة من غلطاته ، وذلك حين سأله رفيقه في رحلته إلى أمريكا ، عن سبب عدم زواجه ، فقال : « إني غلطت في حياتي غلطة ، فخطبت ، ثم تبين لي أن الفتاة وأهلها غايتهم في هذا الزواج المال وجده ، فصحوت وملصت »[٧].

والظاهر أنه ظل متأسفا على عدم زواجه ، وإن اعترته في بعض لحظات القنوط مشاعر الرضا بذلك ، فقد روى هو عن نفسه أنه كلما رأى طفلا ذكيا تألم ، لأنه لم يتزوج[٨] ، وأشار أيضا إلى وحشته من بقائه وحيدا بلا زوج ، وذلك في معرض تعليقه

---

(١) انظر : حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه ٣٢ ، د . أحمد بسام ساعي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ، وانظر فيه موقفا مشابها من أبي ريشة .

(٢) برناردين دي سان بيير : لم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر .

(٣) مذهب سان بيير في العزلة منقول عن ص ١٠٩ ، المجلة العربية ، رمضان ١٣٩٩هـ ، عدد ٧ ، السنة الثالثة ، مقال : مجد العزلة ، بقلم هاشم دفتردار .

(٤) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ٢٢٢ .

(٥) انظر : علم آخر ينطوي ، بقلم عيسى فتوح ، ص ٢٧ ، المجلة العربية ، السنة الرابعة ، العدد الأول.

(٦) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، بقلم أحمد الجندي ٤٦ .

(٧) أرض السحر ١٥٩ .

(٨) عشرة من الناس ٨٤.

على قصيدة [الفتاة العانس] [١]، حيث قال : « فإذا كنتُ قد عبّرت في هذه الأبيات ... عن وحشة الفتاة العانس ... فقد عبّرت في الوقت ذاته عن شيء نظير هذا في بواطن نفسي » [٢]، ولكنّ تلك المشاعر لم تَرْقَ إلى أن تكون عزيمة فواقعا .

وسر عدم زواجه عائد إلى أسباب ، صرّح هو ببعضها واجتهد بعض الدارسين في بيان بعضها الآخر .

أما الأسباب التي ذكرها هو ، فإنها : نشأته في مدرسة العازارية ، وهي مدرسة أساتذتها رهبان ، وخشيته من عدم التوفيق ، أو خيْبة الأمل في الزوجة والأولاد ، وثالثها أنه صاحب مزاج لايحبُّ الأسر [٣].

وذكر أحد أصدقائه أنه كان كلفا بحريته ، على نحو متشدد نأى به عن الزواج [٤]، وذهب باحث آخر إلى « أن جبري كان ولعا بأمه ، وربما كان في سبب إحجامه عن الزواج إحساس بأن هذا الزواج سيعكر عليه حب أمه ، أو يعكر على أمه حبها له ، وبعبارة أخرى ربما كان حبه لأمه يغنيه عن حب الزوجة ، أو التفكير في الزواج » [٥].

وأعود مرة أخرى إلى تأثره الشديد بأناتول فرانس وإعجابه به ، فأقول : إن هذا التأثر وذلك الإعجاب بلغا به مبلغا جعله يعتنق بعض فلسفته ، ويقلده في بعض أنماط حياته ، ومن ذلك أمر الزواج ، فأناتول فرانس « كان ينظر إلى الزواج رديفا للشقاء والأسر ، وغلا للمواهب » [٦]، ومن كلماته في هذا المقام : « حذار ياصديقي أن تتزوج ، فقلما سعد امرؤ بالزواج ، وبخاصة من اعتلقته حرفة الأدب » [٧].

وجبري ممن اعتلقتهم حرفة الأدب ، ولربما رأى في نصيحة صاحبه فرانس أمرا مقدّسا ، فاجتهد في تطبيقه والعمل به .

---

(١) انظر القصيدة في نوح العندليب ١١٤ .
(٢) أنا والشعر ٤٦ .
(٣) انظر : شفيق جبري ورسالة لم تتم ٥٨ .
(٤) انظر : كلمة بديع حقي في مجلة الموقف الأدبي ٢٤٦ .
(٥) شفيق جبري ورسالة لم تتم ٦٤ .
(٦) أناتول فرانس ٥٨ .
(٧) المرجع السابق ٥٨ .

كان ماسبق عرضا شاملا لأهم معالم شخصية شفيق جبري ، ولعلي أختم القول في هذا المجال بكلمة لأحد تلاميذه يقول فيها : « رأيت في أستاذنا جبري ٠٠ الرجل المسلم والرجل العربي القومي الأصيل ، والسوري النبيل ، والدمشقي العريق ، والعالم المتمكن ، والاجتماعي المصلح ، والسياسي الذي لايمس من السياسة إلا أصول مسائلها ، والعاطفي المرهف الحس ٠٠ والعاقل الذي يرى بالبصر البعيد الصائب »[١].

---

(١) فصول في اللغة والأدب ١٤١ ٠

obeikandl.com

حياتــه العمليــة :

بدأ شفيق جبري دراسته لما بلغ الخامسة في كتاب الحي ، وبعد سنة انتقل إلى المدرسة العازارية في حي باب توما [١] ، إثر نصيحة أسداها لأبيه أحد أصدقائه[٢] ، وأخذ منها شهادة الثانوية عام ١٩١٣م بعدما أمضى فيها تسع سنوات [٣].

وفيها أتقن الفرنسية وعلم النحو على أيدي رهبانها ، ودرس مبادئ الإنكليزية ، أما العربية وآدابها فثقفها على نفسه [٤].

وفي سنة ١٩١٣م سافر مع والده إلى حيفا ، ثم إلى الاسكندرية ، وأقام بها ثلاثة أشهر ، عثر فيها على ديوان المتنبي ، وشرع يحفظ بعضه ، ثم سافر مرة أخرى إلى فلسطين إبان الحرب العالمية الأولى [٥].

وفي يافا بدأ العمل في الوظائف الحكومية ، إذ عيّن فيها أمينا لصندوق البلدية عام ١٩١٥م [٦] ، وبعد قيام الحكومة العربية في دمشق ، عاد إليها ، وعمل موظفا في دائرة المراقبة عام ١٩١٧م [٧] ، ثم في دائرة المطبوعات عام ١٩١٩م [٨] ، وفي السنة عينها عمل مترجما فسكرتيرا بوزارة الخارجية [٩].

وفي عام ١٩٢٠م بعدما دخل الفرنسيون دمشق ، عيّنه وزير المعارف آنذاك – محمد كرد علي – رئيسا لديوان الوزارة ، وكُلّف في أثناء ذلك بتدريب المعلمين والمعلمات على كتابة الإنشاء [١٠] ، وكانت وظيفته هذه تسمى " معلم المعلمين " [١١] ،

---

(١) انظر : شموع في الضباب ١١١ ، عيسى فتوح ، نشر المنارة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
(٢) انظر : تأثير الغرب في أدب شفيق جبري ، بقلم د . عمر الدقاق ، مجلة الثقافة السورية ١٩٨٩م ، ص ٢٧ .
(٣) انظر : صناع الأدب ١٣٨ .
(٤) انظر : شموع في الضباب ١١١ .
(٥) انظر : أنا والنثر ١٧ .
(٦) انظر : كلمة محمود الربداوي في أربعين شاعر الشام ٢٣٤ ، مجلة الموقف الأدبي .
(٧) صناع الأدب ١٣٨ .
(٨) شموع في الضباب ١١١ .
(٩) انظر : المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(١٠) انظر : صناع الأدب ١٣٨ .
(١١) انظر : كلمة الربداوي في أربعين شاعر الشام ٢٣٤ .

فكان يدربهم على أصول حديثة تعلمها في مدرسة العازاريين[١].

وفي عام ١٩٢١م عمل مديرا للرسائل في وزارة الخارجية [٢]، وفي عام ١٩٢٥م عيّن سكرتيرا خاصا لوزير المعارف[٣] ، ثم انتخب في عام ١٩٢٦م عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق [٤].

وفي عام ١٩٢٩م عين أستاذا في مدرسة الآداب العليا التي أنشئت في الجامعة السورية ، مع عمله وكيلا لها [٥]، وبقي محتفظا برئاسة ديوان المعارف [٦].

ثم خشي الفرنسيون من تأثير هذه المدرسة ، ومن تأثير جبري بصورة خاصة – لما كان يبثه في الطلاب من مشاعر الوطنية والعداء لهم – فأغلقوا المدرسة ، وصرفوه عن وظيفته [٧]، فانقطع بعدها عن الأعمال الحكومية نحو أربعة عشر عاما ، رحل في أثنائها إلى أوروبة في عام ١٩٣٤م ، وإلى نجد والحجاز عام ١٩٣٥م [٨].

ثم أعيد إلى الوظيفة ، بتعيينه أستاذ كرسي في كلية الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٤٨م ، وفي نيسان من السنة نفسها عيّن عميدا للكلية [٩]، ودعي في خلال عمله عميدا لزيارة أمريكا وحضور مؤتمر الثقافة الإسلامية الذي نظمته جامعة برنستن عام ١٩٥٣م ، وطاف في رحلته هذه أكثر مدن أمريكا[١٠] ، ثم سافر مرة أخرى إلى واشنطن أواخر عام ١٩٥٥م ، ومكث فيها خمسة أشهر ، موفدا من الجامعة لأجل الدراسة والاطلاع [١١].

---

(١) انظر : شفيق جبري ورسالة لم تتم ٥٥ .
(٢) انظر : صناع الأدب ١٣٨ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) انظر : مجلة المجمع العلمي ، مج ٦ ، ج ١٢ ، كانون الأول ١٩٢٦م ، وفيه خطاب الشكر الذي كتبه لأعضاء المجمع .
(٥) انظر : صناع الأدب ١٣٨ .
(٦) انظر : مقدمة ديوانه ٨ .
(٧) انظر : معالم وأعلام في بلاد العرب ، القسم الأول ، ص ٢٣٠ ، تأليف أحمد قدامة ، دمشق ١٣٨٥هـ .
(٨) انظر : أنا والنثر ٨٨ .
(٩) انظر : كلمة الربداوي ٢٣٥ .
(١٠) انظر : أرض السحر ٧ .
(١١) انظر : المرجع السابق ٢٢٣ .

وظل عميدا للكلية ، إحدى عشرة سنة ، ولأن عمادة الكلية كانت قصرا على حملة الدكتوراه ، استصدر وزير المعارف حينذاك منير العجلاني[١] مرسوما خاصا بجبري ، يضع عضوية المجمع في منزلة حامل الدكتوراه[٢].

وكان من المفترض أن تنتهي فترة عمادته الأخيرة للكلية عام ١٩٦٠م ، ولكنه قطع التجديد الرابع ؛ لإحالته على التقاعد عام ١٩٥٨م[٣].

ولقد أثنى كثير من معاصريه على مواهبه الإدارية ، ووصفوه بأنه أظهر حزما وضبطا للعمل ، وأن له مآثر في الإدارة تقرن بمآثره الأدبية[٤].

وفي أثناء عمادته لكلية الآداب انتخب مقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في أثناء الوحدة بين مصر وسورية[٥]، وفي عام ١٩٤٨م منح لقب عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بمصر[٦].

وبعد تقاعده انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٩م وفي عام ١٩٧٠م استزارته جامعة الكويت ، فحاضر في موسمها الثقافي أستاذا زائرا[٧].

كما ذكر لي شقيقه رؤوف أنه زار المملكة العربية السعودية ، ضمن وفد من سورية ضم جميل مردم[٨] وفخري البارودي[٩] ، ذهب ليطلب من الملك عبدالعزيز

---

(١) منير العجلاني ، أديب سوري ، تولى وزارة المعارف ، ورأس تحرير المجلة العربية التي تصدر في الرياض عدة سنوات ، وكان أستاذا بكلية الحقوق بدمشق وعضوا في المجمع العلمي بها . (الحركة الأدبية ٥٧٠) .

(٢) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، بقلم خالد قوطرش ٨٦ .

(٣) انظر : كلمة الريداوي ٢٣٥ .

(٤) انظر : السابق ٢٣٤ ، وشفيق جبري شاعر الشام لخالد قوطرش ٨٤ .

(٥) انظر : شموع في الضباب ١١٢ .

(٦) انظر : القرار الوزاري المتضمن تعيينه عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر ، ص ١٠٩ ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد السابع ١٩٥٣م .

(٧) مشافهة من أخيه رؤوف .

(٨) جميل مردم (١٣١١ - ١٣٨٠هـ) وزير دمشقي من رجال السياسة ، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام لما دخلوا سورية ، فأقام بالقاهرة ثم عاد فصار وزيرا للخارجية وترأس الوزارة ثلاث مرات . (الأعلام ١٣٨/٢) .

(٩) فخري البارودي (١٨٨٦ - ١٩٦٦م) مناضل سوري ، اشترك في الحرب العالمية الأولى ، وثورة الشريف حسين ، وناضل ضد الفرنسيين ، وله مشاركات أدبية ، وله شعر أكثره في الوطنيات . (شموع في الضباب ٤٧) .

رحمه الله دعم نضال سورية ضد فرنسا ، والتقى في رحلته هذه بشاعر الملك عبدالعزيز، أحمدَ الغزاوي [١].

كان ماسبق أهم معالم حياته العملية ، وهي حياة حافلة كما ظهر ، وقد ظل بعد تقاعده معتزلاً في منزله بمصيف بلودان « لايغادره إلا إلى المقهي القريب من داره ، ولايطل على دمشق إلا لحاجة ملحة ، أو أمر طارئ » [٢].

---

(١) الغزاوي (١٣١٨ - ١٤٠١هـ) شاعر الملك عبدالعزيز ، له سبعة دواوين ، ويعد من رجال النهضة العربية ، تقلب في عدد من الوظائف ، ينهج في شعره نهج القدماء (تاريخ الشعر العربي ٤٣٥) .

(٢) عبقريات شامية ٢٣ ، عبدالغني العطري ، مطبعة الهندي ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

obeikandl.com

مشاركاتـــه الثقافيـــة :

يعد شفيق جبري ممن أثروا الحياة الأدبية في سورية ، فله مشاركات مبكرة في بعض الجمعيات الأدبية ، وفي الكتابة الصحفية ، فقد أنشأ مع جماعة من الأدباء ، فيهم الزركلي والشبيبي[١] جمعية سموها " الجامعة الأدبية " برعاية من الملك فيصل سنة ١٩٢٠م ، وكان جبري صغيرا آنذاك ، واشترك مع أولئك الأدباء في وضع نظام لها ، غير أنها مالبثت أن توقفت لما قضى الفرنسيون على الاستقلال[٢].

كما اشترك مع لفيف من الأدباء في إنشاء الرابطة الأدبية عام ١٩٢١م ، وكان الحافز على إنشائها وإصدار مجلة باسمها هو الغيرة على الأدب ، فصارت تنشر آثار السلف والخلف ، وتعاني نقل الآداب من الأمم الأخرى ، وتطرق الأبحاث العلمية والتاريخية والاجتماعية التي تتصل بالأدب[٣].

أما بداية شهرته العلمية والأدبية ، فكانت إثر اختياره عضوا في المجمع العلمي العربي عام ١٩٢٦م[٤]، فقد صار المجمع « يكلفه بأن يمثله شاعرا ... وأن يقول كلمة المجمع في المحافل والأندية »[٥].

وكان قد اشترك قبل اختياره عضوا وبعده ، في بعض المناسبات الأدبية ، كمهرجان تكريم شوقي عام ١٩٢٧م ، وتكريم حافظ إبراهيم ١٩٢٩م[٦].

كما شارك في عدد من المهرجانات ، كمهرجان إحياء ذكرى الشهداء الذين شنقهم جمال باشا عام ١٩٢٠م وهي أولى مشاركاته التي يلقي فيها شعرا في مجتمع عام[٧] ، ومهرجان المتنبي في بيروت ١٩٣٥م ، وقد كان هو ضمن لجنة

---

(١) الشبيبي (١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ) أديب شاعر ، من أعضاء المجامع اللغوية في مصر والعراق وسورية ، شارك في الثورة العراقية ، وتولى الوزارة ، وله ديوان مطبوع . (الأعلام ٦/١٢٧) .

(٢) انظر : أنا والشعر ١٠ .

(٣) انظر : محاضرات في الاتجاهات الفكرية ٤٧ .

(٤) مجلة المجمع ، مج ٦ ، ج ١٢ ، كانون الأول ١٩٢٦م .

(٥) من حوار مع سعيد الجزائري في مجلة الثقافة ٧٧ " بتصرف " .

(٦) انظر : المجمع العلمي العربي في خمسين عاما ١٢ ، من مطبوعات المجمع نفسه ، دمشق ١٣٨٩هـ . وحافظ إبراهيم (١٢٨٧ - ١٣٥١هـ) شاعر مصري ، لقب بشاعر النيل ، اشتهر ببؤسه وظرفه وحلاوة حديثه ، طبع ديوانه في جزأين ، وله آثار أخرى . (الأعلام ٦/٧٦) .

(٧) انظر : أنا والشعر ٥٢ .

الإعداد له والتنظيم[١] ، ومهرجان المعري[٢] ١٩٤٤م ، ومؤتمر الأدباء العرب في بلودان ١٩٥٦م ، ومؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر ١٩٥٨م في القاهرة[٣]، ومهرجان عام ١٩٦٠م في ذكرى شهداء المجلس النيابي الذين قتلتهم السلطة الفرنسية .

وكان له مشاركات أخرى في إحياء عدد من المناسبات ، فرثى عددا من المشاهير في محافل عامة كولي الدين يكن[٤] عام ١٩٢١م ، والمنفلوطي[٥] ومحمود شكري الألوسي[٦] عام ١٩٢٤م[٧]، وأحمد كرد علي[٨] والزهاوي[٩] عام ١٩٢٧م ، وفوزي الغزي[١٠] عام ١٩٢٩م ، وسعد زغلول[١١] ١٩٣٠م ، والملك حسين بن علي ١٩٣١م[١٢]، وحافظ إبراهيم وشوقي عام ١٩٣٢م ، ورشيد رضا[١٣] ١٩٣٥م[١٤]،

---

(١) انظر : المجمع العلمي العربي في خمسين عاما ١٤ .

(٢) أبو العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) شاعر فيلسوف أعمى ، لقب برهين المحبسين لعماه ولزومه منزله، من آثاره اللزوميات وسقط الزند ، وألف عنه الكثير . (الأعلام ١٥٧/١) .

(٣) انظر : صناع الأدب ١٥٥ .

(٤) ولي الدين يكن (١٢٩٠- ١٣٣٩هـ) شاعر رقيق ، من الكتاب المجيدين ، تركي الأصل ، نفاه السلطان عبدالحميد ، وعاد للكتابة فنشر كتابه المعلوم والمجهول ، وله ديوان شعر . (الأعلام ١١٨/٨) .

(٥) المنفلوطي (١٢٨٩ - ١٣٤٣هـ) نابغة في الإنشاء والأدب ، انفرد بأسلوب نقي في مقالاته وكتبه ، من آثاره النظرات والعبرات ومختارات المنفلوطي . (الأعلام ٢٤٠/٧) .

(٦) محمود شكري الألوسي (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ) مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح ، حمل على أهل البدع فعاداه كثيرون ، من مصنفاته بلوغ الأرب في أحوال العرب . (الأعلام ١٧٢/٧) .

(٧) انظر : المجمع العلمي العربي في خمسين عاما ١٢ .

(٨) أحمد كرد علي (١٨٨٤ - ١٩٢٧م) دمشقي المولد والوفاة ، مال إلى الكتابة والصحافة ، وأعان أخاه العلامة محمد كرد علي في جريدة المقتبس ، ورأس تحريرها حتى توفي . (نقلا عن نوح العندليب ، ص ١٣٦) .

(٩) جميل صدقي الزهاوي (١٢٧٩ - ١٣٥٤هـ) شاعر فيلسوف ، عراقي ، كردي الأصل ، عمل أستاذا للآداب العربية ، له آراء متطرفة تميل إلى الإلحاد ، وله ديوان مطبوع . (الأعلام ١٣٧/٢) .

(١٠) فوزي الغزي (١٨٩١ - ١٩٢٩م) محام سوري ، كان أحد أعضاء لجنة الدستور ، سجنه الفرنسيون مرتين ، ومات مسموما بيد غادرة ، له كتاب " حقوق الدولة العامة " . (الأعلام ١٦٣/٥) .

(١١) سعد زغلول (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ) زعيم نهضة مصر السياسية ، وأكبر خطبائها في عصره ، دخل الأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني ، نفاه الإنجليز ، وألفت عنه كتب كثيرة . (الأعلام ٨٣/٣) .

(١٢) انظر : صناع الأدب ١٥٣ .

(١٣) رشيد رضا (١٢٨٢- ١٣٥٤هـ) بغدادي الأصل ، مصري الموطن ، صاحب مجلة المنار ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ، وكاتب عالم بالحديث ، لازم الشيخ محمد عبده ، توفي بالقاهرة . (الأعلام ١٢٦/٦).

(١٤) انظر : المجمع العلمي العربي في خمسين عاما ١٢ .

وإبراهيم هنانو ١٩٣٥م ، وهاشم الأتاسي[١] ١٩٦٠م ، والزركلي ١٩٧٧م ، وهي آخر المشاركات [٢].

وكانت حصيلة هذه المشاركات الشعرية الثرية ، وهذا الحضور الفاعل ، أن لقّب شاعر الشام قبل أن يبلغ الثلاثين[٣] ، كما أن لحسن إلقائه ، وجودة إنشاده ، أثرا في تبوُّئه هذه المكانة ، فقد كان يهز المحافل بإلقائه الفخم المؤثر[٤] .

وقد كانت بداية مشاركاته الصحفية في صحيفة المهذب ، حيث نشر فيها مقالة مترجمة بعنوان " قياس فرضي لمعرفة علل تحول الأنواع " في ١٨ نيسان ١٩١٤م ، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة [٥].

ومن الصحف التي بدأ بنشر إنتاجه على صفحاتها ، لسان العرب والمفيد والميزان وفتى العرب والمقتبس ومجلة الرابطة الأدبية [٦].

كما نشر بعد ذلك في مجلة الثقافة المصرية ، والحديث ، وفي جريدة القبس ، والأيام [٧]، وظل يوافي مجلة المجمع اللغوي بمقال فصلي كل ثلاثة أشهر ، تحت عنوان " بقايا الفصاح "[٨] إضافة إلى مقالات أدبية ونقدية .

كما كان يخص مجلة الدنيا بمقال كل أسبوعين ، حول عدد من قضايا الأدب[٩].

لقد جعله هذا الاتصال الوثيق بالصحافة ، يخالط أصحاب الصحف في الليل والنهار[١٠]، وكان يجتمع بعدد من الصحفيين الأدباء أمام إدارة جريدة فتى العرب

---

(١) هاشم الأتاسي (١٨٧٥ - ١٩٦٠م) مناضل سوري ، رأس الوزارة عام ١٩٢٠م ، ثم اعتقله الفرنسيون بعد الثورة ، ورأس الجمهورية بعد ذلك عدة مرات ، وكان نقي السيرة . (الأعلام ٦٥/٨) .

(٢) انظر : صناع الأدب ١٥٣ .

(٣) شفيق جبري شاعر الشام ، لخالد قوطرش ٨٤ .

(٤) انظر : الشعراء وإنشاد الشعر ٦٩ ، علي الجندي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

(٥) انظر : أنا والنثر ٢٨ .

(٦) انظر : صناع الأدب ١٤٧ .

(٧) شفيق جبري ورسالة لم تتم ٥٨ .

(٨) انظر : علم آخر ينطوي ، بقلم عيسى فتوح ٢٨ .

(٩) انظر : عبقريات شامية ٢٤ .

(١٠) انظر : أنا والنثر ٣٥ .

بدمشق ، فيتجاذبون أطراف الحديث في شؤون الأدب ، وكان هو عميد هذه الجلسة [١].

وقد مرّ به عهد كان ينشر فيه قصائده ومقالاته باسم مستعار - إبان عهد الانتداب - في صحف مصر ، فلما عُرف أنه هو ناشرها ، كان ذلك من دواعي إقصائه عن وظيفته [٢].

ومع أنه شارك بمقالات سياسية « لم ينتسب إلى حزب من الأحزاب ، ولم يمارس السياسة بالفعل » [٣]، بل كان يدافع عن الحزب الذي يشعر بإخلاصه [٤].

كما كان لجبري مشاركات ثقافية في أثناء رحلته إلى أمريكا ، حيث ألقى بعض المحاضرات في المركز الإسلامي بواشنطن[٥] ، وسجّل أحاديث إذاعية في صوت أميركة ، وأذيع بعضها في شهر كانون الأول ١٩٥٣م [٦]، كما أجريت معه أحاديث صحفية ، نشرت في بعض صحفهم [٧].

كما كان يشترك في تحكيم بعض المسابقات الأدبية ، وبخاصة الشعرية ، كالمسابقة التي وضعتها إذاعة دمشق عام ١٣٦٣هـ ، وكان معه في الحكم عليها خليل مردم ومعروف الأرناؤوط [٨]، وله مشاركة جيدة مشهود له فيها بالتقدّم والإحسان ، في إلقاء بعض برامج الأدب في الإذاعة [٩].

لقد كان جبري شاعرا مفَنّا ، وكاتبا مبدعا ، وأستاذا للأدب مجليا ، أثرى عقول

---

(١) من حوار مع سعيد الجزائري في مجلة الثقافة ٧٦ .

(٢) انظر : أعلام الأدب والفن ١٤٣ .

(٣) رجالات في أمة ٨٨/١ ، فضل عفاش ، دار المعرفة ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٤) عشرة من الناس ٨٧ .

(٥) انظر : أرض السحر ٢١٨ .

(٦) انظر : المصدر السابق ٥٨ .

(٧) انظر : المصدر السابق ١٩٢ .

(٨) انظر : يوميات الخليل ، بقلم خليل مردم ١٥٧ ، تحقيق عدنان مردم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٠هـ .
ومعروف الأرناؤوط (١٣١٠ - ١٣٦٧هـ) كاتب صحفي ، من أعضاء المجمع اللغوي بدمشق ، ألباني الأصل ، عمل كاتبا في بيروت ، وترجم عن الفرنسية كثيرا من القصص الصغيرة . (الأعلام ٢٦٨/٧) .

(٩) انظر : على الطائر ٤٥ ، مارون عبود ، دار الثقافة ، بيروت ، بلا تأريخ .

تلاميذه ، واستطاع أن يحملهم « على المواظبة على الدرس والعناية بدراسة الأدب العربي ، بما قدمه لهم من محاضرات ممتازة بأسلوب مبتكر وطريقة حديثة »[١]، ويمكن أن يعد من تلاميذه أولئك الذين استمعوا لمحاضراته في مدرسة الآداب العليا، ثم أولئك الذين استمعوا له في كلية الآداب بالجامعة السورية[٢].

وكان له اتصال وثيق بشعراء عصره ، وصداقات عميقة مع بعضهم ، فممن اتصل بهم الزركلي الذي كان يأخذه بالرعاية والتشجيع[٣]، وفؤاد الخطيب[٤] وخليل مردم وأنور العطار[٥] وعمر أبو ريشة[٦] وبدر الدين الحامد[٧] وعمر النص[٨] في سورية ، وفي لبنان اتصل ببشارة الخوري[٩] وأمين نخلة[١٠]، وفي العراق اتصل بالشبيبي والزهاوي والرصافي[١١] ، واتصل في مصر بشوقي وحافظ ، وتعرف إلى ناجي وعلي محمود طه[١٢] وآخرين[١٣]، وفي السعودية

(١) من مقال لنجيب الريس في جريدة المعرض في بيروت ، ١٩ تشرين الأول ١٩٣٠م ، نقلا عن : أنا والنثر٨٦.

(٢) من كلمة شكري فيصل في مجلة الموقف الأدبي ٢٣١ .

(٣) انظر : الشعر الحديث في الإقليم السوري ١٩٨ .

(٤) فؤاد الخطيب (١٢٩٦-١٣٧٦هـ) شاعر من أعضاء المجمع اللغوي بدمشق ، اتصل بالشريف حسين وبولده فيصل ، ثم بالملك عبدالعزيز الذي عينه سفيرا في أفغانستان ، له ديوان شعر.(الأعلام ١٦٠/٥).

(٥) أنور العطار (١٣٢٦ - ١٣٩٢هـ) شاعر رقيق ، عمل في تدريس الأدب العربي في سورية والعراق والسعودية ، تميز شعره بوصف الحدائق والأزهار ، وله ديوان " ظلال الأيام " . (الأعلام ٢٩/٢) .

(٦) عمر أبو ريشة (١٩١٠م - ١٩٩٠م) شاعر سوري ، اشترك في الثورة ضد الاستعمار ، وتنقل بين عدة بلدان حتى استقر في آخر حياته في السعودية ، يعد شاعرا بارعا في التصوير جزل الألفاظ ، وله ديوان مطبوع (تاريخ الشعر العربي ٢٧٢) .

(٧) بدر الدين الحامد (١٣١٥ - ١٣٨١هـ) شاعر حموي ، شارك في الحركات الوطنية بشعره ، فاضطهده الفرنسيون وسجنوه ، وطبع ديوانه كاملا بعد وفاته . (الأعلام ٤٦/٢) .

(٨) عمر النص ، شاعر سوري ، من دواوينه كانت لنا أيام ، والليل في الدروب ، يتصف شعره بسلامة اللغة واستواء الشكل بلا تكلف . (تاريخ الشعر العربي ٧٢٦) .

(٩) بشارة الخوري (١٣٠٢ - ١٣٨٨هـ) المعروف بالأخطل الصغير ، أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث ، عين مستشارا فنيا للغة العربية ، صدرت له الأعمال الكاملة بعد وفاته .(الأعلام ٥٣/٢).

(١٠) أمين نخلة (١٩٠١-٠٠٠) شاعر لبناني ، عمل في حقلي السياسة والأدب ، اختاره شوقي ليكون أميرا للشعراء بعده ، له ديوان دفتر الغزل ، وهو صاحب النشيد الرسمي اللبناني .(تاريخ الشعر العربي ٣٦٦).

(١١) معروف الرصافي (١٢٩٤ - ١٣٦٤هـ) شاعر العراق في عصره ، من أعضاء المجمع اللغوي بدمشق ، درّس العربيّة في بغداد والقدس ، من آثاره ديوان شعر ودفع الهجنة .(الأعلام ٢٦٨/٧).

(١٢) علي محمود طه (١٣٢١ ـ ١٣٦٩هـ) شاعر مصري ، من دواوينه (ليالي الملاح التائه) (الأعلام ٥ ـ ٢١).

(١٣) انظر : شفيق جبري ورسالة لم تتم ٥٦ .

التقى بالغزاوي وتعرّفَه .[١].

وممن انعقدت بينه وبينهم أواصر الصداقة ، سليم الجندي[٢] ، وشكري فيصل ، وبديع حقي[٣] ، ومدحة عكاش[٤] ، ومصطفى تمر[٥] ، وبدوي الجبل[٦] الذي كانت تدور بينه وبين جبري مطارحات شعرية[٧]، ومما قاله فيه بدوي الجبل واصفا شعره[٨] :

وشعر كآفاق السماء تبرجت * شموس على أنغامه ونجوم
يلم (شفيق) كوكبا بعد كوكب * ونسّق منها العقد فهو نظيم

ومن أصدقائه الشعراء الذين قارضوه الثناء شعرا ، زكي المحاسني[٩] ، ومن شعره فيه :

فديت أبا البيان شفيق جبري * فقد حلى البيان جلال سحر
سموت إلى قصائده فباتت * يرددها الوجود نشيد دهر

والعوضي الوكيل[١٠] الذي يقول :

إذا قرأت لجبري * قرأت أفخم شعر
عواطف ، وشعور * في ثوب عقل وفكر

---

(١) مشافهة من أخيه رؤوف .

(٢) سليم الجندي (١٢٩٨ - ١٣٧٥هـ) شاعر ، مدرس ، عالم بالأدب ، من أعضاء المجمع اللغوي بدمشق ، له مؤلفات في عدة فنون . (الأعلام ٦/١٤٨) .

(٣) بديع حقي (١٩٢٩ - ...) شاعر وقاص ، عمل في السلك السياسي زمنا ، من آثاره : ديوان " سحر " ومجموعتان قصصيتان ، " التراب الحزين " و " حين تتمزق الظلال " . (نقلا عن الأدب العربي المعاصر في سورية ٤٢٩) .

(٤) مدحة عكاش أديب وشاعر سوري ، مؤسس مجلة الثقافة بدمشق ، وكان عضوا في جمعية الأدباء العرب بدمشق . (تاريخ الشعر العربي ٦٣٣) .

(٥) مصطفى تمر : من رجال التعليم في سورية ، عمل مفتشا عاما في وزارة المعارف على عهد محمد كرد علي . (نقلا عن ذكريات الطنطاوي ٢/٢٠٣) .

(٦) بدوي الجبل (١٩٠٨ - ١٩٨١م) محمد سليمان الأحمد ، شاعر سوري مجيد ، أسندت إليه الوزارة مرارا ، وانتخب عضوا في المجمع اللغوي بدمشق ، وهو شاعر خصب الخيال قوي السبك . (تاريخ الشعر العربي ٢٧١) .

(٧) بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة ١٢٤ ، أكرم زعيتر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط الأولى ، بيروت ١٩٨٧م .

(٨) ديوان بدوي الجبل ١٨٠ ، نشر دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

(٩) زكي المحاسني (١٩٠٨ - ...) ناقد وباحث وشاعر سوري ، عمل في التدريس الجامعي ، وله دراسات عن المتنبي والمعري وأبي نواس . (تاريخ الشعر العربي ٥٧٣) .

(١٠) العوضي الوكيل : شاعر مصري ، له من الدواوين أغاني الربيع وأنفاس في الظلام ويتصف شعره بالرصانة وحلاوة النغم وتناسق الفكر . (تاريخ الشعر العربي ٧١٩) .

obeikandl.com

وبدر الدين الحامد ، الذي خاطبه قائلا :

أنـــت ياشاعـــر الشام عليـم * كـم بكينـــا غـب النـــوى أيامه

قد عرفناك شاعرا في معانيـ * ـك ، وفي اللفظ قد عشقنا انسجامه[١]

وقبلان الرياشي[٢] الذي يقول :

إلـى جبري سلام مـن صديق * يحـن إلـى ملاقـاة الصديق

بروحي شاعر فخـم المبانـي * يعيد مذاهب الفكر الدقيق

يغوص على بحار الشعر كدا * فيدرك لجة المعنى العميـق[٣]

---

(١) شفيق جبري شاعر الشام الخالد قوطرش ٨٨ .

(٢) قبلان الرياشي : شاعر لبناني ، كان صديقا لجبري ، وهو أحد اللذيْن أسسا جريدة العمران الدمشقية. (نقلا عن نوح العندليب ٥٨) .

(٣) ديوان نوح العندليب ٥٩ .

وفاتـــــه :

مرض شفيق جبري في آخر حياته ، وشكا من ضعف مزمن ومتزايد في البصر[١] ، وعجز حتى اضطر إلى لزوم الفراش [٢]، ولم يكن يصدق في الأسبوعين الأخيرين أنه مريض ، بل كان يراه مرضا عارضا ، ولم يقتنع بحاجته إلى المستشفى إلا بعد لأي ، فرقد فيه وكله أمل بالشفاء [٣].

وفي يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٠هـ ، الموافق ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠م [٤]، طوى الموت شاعر الشام وأديبها الكبير شفيق جبري ، بعدما قضى في هذه الحياة خمسا وثمانين سنة ، وستة أشهر ، واثنين وعشرين يوما تقريبا .

ولم يشيّعه إلى مثواه الأخير سوى جمع صغير ، فيه أشقاؤه وبعض أصحابه ، لعدم انتشار خبر وفاته ، ودفن في صمت وهدوء كما كان يحب [٥]، في مقبرة باب الصغير بدمشق [٦].

وبعد مضيّ أربعين يوما على وفاته أقام إتحاد الكتاب العرب بدمشق حفلا لتأبينه ، اشترك فيه عدد من محبّيه وأصدقائه ، وألقى بعض الشعراء قصائد رثوه بها [٧]، وكُتب عنه وعن أدبه كثير من المقالات [٨].

ومما رثي به قصيدة لعباس الخليلي [٩]، منها :

جُد باشفيق بدمعك الهتان * واشف الصدور به من الأضغان

---

(١) انظر : تأثير الغرب في أدب شفيق جبري ٣٣ .

(٢) انظر : صناع الأدب ١٤٠ .

(٣) انظر : كلمة شكري فيصل في مجلة الموقف الأدبي ٢٣١ .

(٤) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، لخالد قوطرش ٩١ .

(٥) انظر : شفيق جبري أديب كبير ودعناه بصمت ، بقلم عيسى فتوح ، جريدة الثورة ، عدد ٥٢٠٩ ، بتاريخ ١٩٨٠/٢/١٢م ، ص ٦ .

(٦) انظر : شفيق جبري شاعر الشام ، لخالد قوطرش ٩١ .

(٧) انظر : مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١٠٧ – ١٠٨ ، ٢٢٣ .

(٨) انظر مثلا : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص ٧٩٨ ، مج ٥٥ ، ج ٤ ، تشرين الأول ١٩٨٠م ، وانظر كذلك : مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، مقال (شفيق جبري في ذمة الله) بقلم د . عبدالكريم خليفة، ص ٢٠٤ ، العدد المزدوج ٧ – ٨ ، السنة الثالثة ، صفر – رمضان ١٤٠٠هـ .

(٩) عباس الخليلي: لم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر.

وفيها :

شعر أرق من الدموع ونغثة * من صدر أكرم شاعر ولهان

بحران يلتقيان من دمع ومن * شعر، وعندك يستوي البحران[١]

وممن رثوه رياض المعلوف [٢].

عزيز أنت عندي ياشفيق * سميّ أخي ، ولي أنت الشقيق[٣]

ومحمد الحريري[٤] :

شببتَ فوق جبالِ الشعر نيرانا

حتى أراكَ من الأبعاد بركانا[٥]

وعبدالرحيم الحصني[٦] :

سل الشام ايُّ الأوفياء ترحّلا

وايُّ زمانٍ بالشآم تبدلا[٧]

رحم الله شاعر الشام وأديبها شفيق جبري وعفا عنه .

---

(١) مجلة الثقافة السورية ، كانون الثاني ، شباط ١٩٨٩م ، قصيدة (قلائد العقيان) .

(٢) رياض المعلوف (١٩١٢ - ؟) من شعراء المهجر ، نظم الشعر بالعربية والفرنسيّة والإنكليزية ، شعره عاطفي غنائي ، يمتزج بالفلسفة . (تاريخ الشعر العربي ٣٥٠) .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ، تشرين الأول ١٩٨٠م ، مج ٥٥ ، ج ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٤) محمد الحريري (١٩٢٢ - ١٩٨٠م) ولد في حماة ، شاعر ودارس ، طبع اتحاد الكتاب العرب بدمشق ديوانه عام ١٩٨٥م . (انظر : أعضاء اتحاد الكتاب العرب ، ص ٧٩٢ ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م) .

(٥) مجلة الموقف الأدبي ، العدد ١٠٧ - ١٠٨ ، ص ٢٤٩ .

(٦) عبدالرحيم الحصني (١٩٢٩ - ١٩٩٢م) حمصي المولد ، من أعماله الشعرية (أمواج) و (أناشيد متمردة) . (انظر : أعضاء اتحاد الكتاب العرب ١٨٩) .

(٧) مجلة الموقف الأدبي ٢٥٣ .

مؤلفاتـــه :

أثرى شفيق جبري المكتبة العربية بمؤلفات شعرية ونثرية ، وأغلب إنتاجه النثري داخل في الدراسات الأدبية والنقدية ، أما الشعر فله ديوان واحد ، سماه " نوح العندليب " طبعه مجمع اللغة العربية بعد وفاته ، في عام ١٤٠٤هـ .

أما مؤلفاته النثرية المطبوعة ، فهي : -

١ - المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، طبع عام ١٩٣٠م .
٢ - الجاحظ معلم العقل والأدب ، طبع عام ١٩٣٢م .
٣ - العناصر النفسية في سياسة العرب ، طبع عام ١٩٤٥م .
٤ - بين البحر والصحراء ، طبع عام ١٩٤٦م .
٥ - دراسة الأغاني ، طبع عام ١٩٥١م .
٦ - أبو الفرج الأصبهاني ، طبع عام ١٩٥٥م .
٧ - محاضرات عن محمد كرد علي ، عام ١٩٥٧م .
٨ - أنا والشعر ، عام ١٩٥٩م .
٩ - أنا والنثر ، عام ١٩٦٠م .
١٠- أرض السحر ، عام ١٩٦٢م .
١١- أحمد فارس الشدياق ، عام ١٤٠٧هـ .

أما كتبه المخطوطة ، فهي :

١ - علي صخور صقلية ، يتضمن رحلته إلى أوروبا .
٢ - أفكاري ، مجموعة مقالات ومحاضرات .
٣ - دراسة عن شوقي .
٤ - تفسير نصوص .
٥ - كتاب صغير الحجم عن أناتول فرانس .

كما ذكر لي شقيقه رؤوف أنه قد يطبع بعض مقالاته ومحاضراته في كتب مستقلة ، ورأيت تلك المقالات في حوزته مجموعا بعضها إلى بعض ، وهي :

١ - محاضرات جامعة الكويت .

obeikandl.com

٢ - يوميات الأيام .

وذكر عمر رضا كحّالة[١] ، أن له كتابا عنوانه " قصة أديب" [٢] ، ولم يذكره غيره [٣]، وأغلب ظني أن هذا وهَمٌ منه ، والصحيح أن ذلك العنوان لمقالة له نشرت في مجلة المجمع[٤] ، تعد نواة لما كتب في كتابيه " أنا والشعر " و " أنا والنثر " .

---

(١) عمر رضا كحالة (؟ - ١٤٠٨هـ) أديب ومؤرخ سوري ، من آثاره أعلام النساء ، ومعجم المؤلفين ومعجم قبائل العرب ، انتخب عضوا في مجامع علمية عديدة . (نقلا عن ترجمته لنفسه في المستدرك على معجم المؤلفين) .

(٢) انظر : المستدرك على معجم المؤلفين ٢٨٧ ، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٣) من رسالة وصلتني من الدكتور عادل الفريجات مؤرخة بيوم ١٤١٣/٥/٩هـ الموافق ١٩٩٢/١١/٤م .

(٤) انظر : المجلد ٣٦ ، الجزء ٣ ، ص ٣٦٦ .

obeikandl.com